الحوار:

من العبودية الى العبادة الحق

بقلم: البشير بن سلامة

احتفلت تونس فى مطلع السنة الهجرية الجديدة بدخول القرن الخامس عشر الهجرى . وكانت احتفالات مشهودة أبرزها الخطاب الذى ألقاه المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة وقد نبه فيه الى ما يجب على الأمة الاسلامية أن تقوم به لتجاوز الأخطاء والوصول الى المناعة والعزة .

وإن الذى كتب ، فى هذه المناسبة وقبل ذلك ، لكثير يحتاج الى من يحوصله ويبين معالمه بالنسبة إلى تونس على الأقل. ولربما يجب الانتظار كامل هذه السنة لنتبين ملامح التفكير فى هذا الموضوع ونستشف أهم التيارات المستقبلية التى تعتمل فى اذهان المسلمين وتشغل بال المهتمين بالاسلام .

وليس من السهل الحديث عن الاسلام والمسلمين فى هذه الصفحات القليلة من هذا العدد الذى أردنا أن تكون جل مواضيعه تتعلق بالأمة العربية الاسلامية وقضاياها حاضرا ومستقبلا كما أنه ليس من السهل اختيار نقطة من هذا البحر الطامى من الأفكار والآراء لتعميقها والافاضة فيها .

على أننى لاحظت من كل ما قرأته سواء المنشور بتونس أو فى سائر البلاد العربية أن جانبا مهما من أسباب شيوع الاسلام فى الأول وضياع المسلمين

فيما بعد لم يأخذ حظه من الدرس وإن أشبع تلميحا واستنفد إشارة وتلويحا وهو خروج العرب والعالم آنذاك عن طريق الاسلام من العبودية الى العبادة الحق .

والغريب في الأمر أن مصدرى العبودية والعبادة يفضيان الى فعل واحد وهو عبد أى انقاد وخضع وذل وان العبد يجمع على عباد وعبيد والعبد هو الانسان حرا كان أو رقيقا .

وفي لسان العرب أن العباد قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية فأنفوا ان يتسموا بالعبيد وقالوا : « نحن العباد » ويزيد المعجم الوسيط أنهم نزلوا بالحيرة ومنهم عدي ابن زيد العبادى .

وفي حديث عن أبي هريرة: لا يقل أحدكم لمملوكه: عبدى وأمتى.وليقل:فتاي وفتاتي . على نفي الاستكبار عليهم وأن ينسب عبوديتهم اليه فان المستحق لذلك الله تعالى هو رب العباد كلهم والعبيد وجعل بعضهم العباد لله وغيره من الجمع لله والمخلوقين .

وليس في ذهنى أن أشرح هذه الاستشهادات بل المقصود هو التعليق عليها غير أنه يمكن للقارىء الكريم أن يتأكد من أن الانطلاق من اللغة يكشف عن خبايا ترجع الى واقع العرب قبل الاسلام ويعطى فكرة حقيقية عن المناخ الذى ظهر فيه هذا الدين وعن أسباب انتشاره فيما بعد . ذلك أن ما يعمد اليه الكثيرون سواء في الدراسات أو القصص أو المسلسلات إنما يغيب على الناس حقيقة الاسلام الواضح في جوهره والبسيط في معدنه من دون تعقيد ولا تقعيد ومن دون التمسك بالقشور والأساطير والمظاهر الكاذبة والشعارات الزائفة .

فالدين الاسلامى جاء في زمن كثرت فيه العبودية ، عبودية الانسان لأخيه الانسان سواء كان مملوكا يتصرف فيه سيده تصرفه في متاعه أو منقادا الى

آلهة من الأصنام تتحكم فيها فى الواقع وفى الخفاء رغبات قلة من الناس سيطرت عليهم مصالحهم وشهواتهم ورغباتهم السيطرة الكاملة وأعمتهم القبلية والعنصرية .

فانحبست بهذه الصورة وفى ذلك الوقت حرية الانسان حرا كان أو مملوكا حتى ضاق ذرعا بعض عقلاء العرب وأرادوا الخروج من هذه العبودية فابتعدوا عن جوها الخانق الجاثم فى بلاد العرب .

ولما جاء محمد صلى الله عليه وسلم وصدع بالاسلام كان الداخلون فى دين الله ، الى جانب بعض أسياد العرب ، العبيد والمستضعفون والنساء ولم يكن هذا فى أول الاسلام بل حتى عندما هاجر الرسول الى المدينة حتى قال له أحدهم : ما هذه العبيـدى حولك يا محمد ؟ أراد فقراء أهل الصفة (وهو مكان مظلل فى مسجد المدينة كان يأوى اليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول وهم أصحاب الصفة) وكانوا يقولون : اتبعه الأرذلون .

وفى الحقيقة فان الاسلام قصد أولا وبالذات رفع العبودية عن كل العرب فهم ضعفاء مستضعفون مكبلون فى حريتهم مطعونون فى انسانيتهم مخدوشون فى انتسابهم الى البشرية فى جوهرها الصافى ومعدنها الأصل طلاقة وعفوية. نعم قصد الاسلام رفع العبودية عن كل العرب أسيادا ومماليك ، علية وسوقة وبذلك سوى بينهم جميعا بتحريرهم بعضهم من بعض وتخليصهم من أوهام الأوثان أوهام أنفسهم وشهواتها المضلة وكبريائها المدمرة لهم ولمن حولهم وطغيانها عليهم وعلى غيرهم .

لقد حررهم إذن ولم يتركهم كالابل السائبة بل دلهم الى العبادة الحق نشدانا لكمال إنسانيتهم بسموهم الى الذات العليا وتقييدا لنوازع النفس الأمارة بالسوء بانصهارهم فى الجماعة وتخلصا من الملك العضوض الذى كان يعده لهم أبو سفيان (بنو أمية) باحلال الشورى بينهم .

هذه هى الأرضية التى انطلق منها الاسلام قبل أن تحدد الفرائض وهى التى جمعت حول الرسول الاعظم الصحابة الأولين الذين لولاهم ولولا تشبعهم

بروح الاسلام الحقيقية ولولا إجلال النبى الكريم لهم بسماحة خلقه وطيبة نفسه وابتعاده عن كل عتو وكبرياء لما كان للاسلام ذاك الشان ولما انتشر ذاك الانتشار ولما قدر له أن يبقى فى النفوس بعد الانهيار والضعف والانحطاط (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

فاستمرار الاسلام وانتشاره فى الاول فى بلدان لا تعرف اللغة العربية إنما سببه شعور كل فرد من الأمم الداخلة فى الاسلام بأنه تحول من العبودية الى العبادة الحق وسببه أيضا هو ظاهرة الصحبة التى تؤازر وتدعم وتناقش وتنافح وتصدع بالحق لا التى ينتابها الخنوع والخضوع والذلة والتبعية والولاء الرخيص .

ولكن تدهور حال المسلمين فيما بعد إنما منشؤه إحلال العبودية محل العبادة الحق رغم التمسك بالفرائض والتشبث بالعبادات ومأتاه عزوفهم عن إيجاد الهياكل المطبقة للشورى إذ بقى هذا المبدأ العظيم حبرا على ورق لا يعرف المسلمون نعمته إلا فى الفينة بعد الأخرى على حسب تقوى الحاكم وورعه . وبما أن الحكم مركب زلوق كثيرا ما يزين لصاحبه ما لم ترضه النفس العادلة الكريمة فان الحكام المسلمين الذين طبقوا الشورى فى الماضى يعدون على الأصابع أما الآخرون فانهم غرقوا طيلة فترات سلطانهم فى محاولة تصويب ما اقترفوه من أخطاء ناشئة عن الحكم المطلق والنزوع الى إحلال العبودية محل العبادة فاهلكوا أنفسهم ومعهم شعوبهم وأفضى الأمر فيما بعد الى جثوم الاستعمار عليهم عهدا طويلا .

وإن المعجزة الكبرى التى أظهرت الدين الاسلامى فى بلاد العرب هى التى ضمنت بقاء المسلمين فى البلدان الداخلة فى الاسلام وإلا كيف كان فى إمكان هذه الشعوب أن تصمد أمام جحافل الاسبان والبرتغاليين،لولا اكتشاف أمريكا وانصراف هؤلاء بعنجهيتهم وقوتهم الجبارة الى محق الهنود الحمر ولولا بروز المسلمين الاتراك الذين تصدوا بكل حماس لوقف التيار الماحق ؟

وتكررت المعجزة الكبرى مرة أخرى فى قوة العرب المالية المتأتية من الطاقة .. ولكن أما حان الوقت للاتكال على النفس والرجوع إلى أرضية الاسلام الاولى تطبيقا ووفاء لا وهما وإيهاما والتخلص نهائيا من كابوس العبودية فى جميع المستويات ؟

وإن ما يهدد البشرية اليوم فى هذه الفترة الصعبة إنما هى العبودية المتسلطة على الانسان فى كل المجتمعات المتقدمة منها والمتخلفة . إذ أن الانسان فى المجتمعات المتقدمة يرزح تحت كابوس الحياة المادية التى أضلت روحه وتركته عبدا لجهنمى التنظيمات والتصرفات التى تقيد حركاته وتكيفه كما تشاء وما نسمعه يوميا من أصوات الفلاسفة والمفكرين المنددين بهذه العبودية الجديدة من شأنه أن يكشف لنا عن حقيقة ما يتهدد البلدان النامية من عبودية مركبة . وكذلك الانسان فى كثير من المجتمعات التى تجهد للخروج مما ران عليها فى عصور الانحطاط فانه ينوء تحت عبودية الفقر والجوع والمرض والحكم المطلق .

أما آن للعالم إذن أن يطلق العبودية إلى العبادة الحق ؟

البشير بن سلامة

هذي القلوب تشوقها نجد ..

شعر : نور الدين صمود

هذى القلوب تشوقها نجدُ　　عاد الصّبا وتبسمتْ دَعْدُ
لِعنيزةٍ ذكرى محبّبةٌ　　ولخَوْلةٍ أطلالُها الجُرْدُ
وعكاظَ يحلم بالالى رَحلوا　　وعليه من أمجادهم مجدُ
شمختْ مَعَاطِسهُمْ وقد بلغت　　هام الجبال كأنهمْ أسْدُ
ساروا على الرمضاء يدفعهم　　عزم قويّ صامد صلدُ
ومفاوز الصحراء يغمرها　　وَعْدُ السراب، وملؤهُ وَقْدُ
ووعوده كذب وتسليةٌ　　كالغيد ليس لغادة وعد
لو سار فيها الجنّ ممتطيا　　صهوات جن مالها نِدّ
لمضوا حيارى في مفازتهم　　تاه الدليل وضُيِّعَ القصد
ويظل يسأل من يمرّ بها　　ولَهُ فؤاد فوقها جلْدُ
ما بال هذا الأفق منسرحا　　ومهامه الصحراء تمتدُّ ؟
وتلوح فيه قوافلٌ ضربت　　كبد الصحارى سيرها وَخْدُ
فإذا شدا الحادي مضت قُدُماً　　ويظل خلف بعيره يحدو
وهوادجُ الغيد الحسان مضتْ　　بسعادَ في أعقابها هند
ويلوح لي نسْجُ الرياح على　　ذَهَبِ الرمال كأنه بُرْدُ
تتفننُ الصحرا فكم رسمت　　صور الجمال ! وما لها قصد

وتظلُّ تنضد إذ تهب على ... سقط اللوى فيروقنا النضد
ولكم بَنَتْ من رملها جبلا! ... إثر البناء تراه ينهد
نحتت بإزميل الهوا فهوى ... واندك ذاك الشامخ الطَّوْد
والرمل في الرمضاء مضطرب ... فيه يلوح الجزر والمد
فكأنه سيل له ثبجٌ ... عالي الغوارب ماله سُدّ
قد جاده هطل فواعجبا ... تبكي السماء فيضحك الورد!
وتهبّ أنسام معطرةٌ ... فترى الزهور على الربى تعدو
فكأنها قلبُ المحبِ إذا ... ذكر الحبيبُ يشوقه وعد
تتسابق الأزهار في شغفٍ ... ويكاد يُنطقُ ثغرها الوجدُ
وعرارُ نجدٍ يستبي خلدي ... وتروقني بجمالها نجد
وأرى «اليمامة» في «الرياض» شدتْ ... فتمايلت أغصانها المُلْدُ
قمريةٌ تشدو على فَنَنٍ ... إن الغصون لشدوها مهدُ
«من أين يأتي الحزنُ غانيةً ... في صدرها يتلألأ العقد!؟
وتخضبتْ مثل العروس، وذا ... لونُ الخضابِ بساقها يبدو
وترنمتْ بهديلها، فلها ... تتراقص الأغصان إذ تشدو (1)»
غنت بأمجاد الألى زرعوا ... ما طاب منه القطف والحصد
وامتدّ منهمْ تحت كل سمَا ... عيشٌ رخيّ ناعمٌ رغد
فغدت رمالُ البيدِ ضاحكةً ... فيها يرفّ الطير والورد
كانوا ليوثا لا ينالُهُمُ ... ضيمٌ، وليس لعزهمْ حدّ
لا يؤمنون بغير عزتهمْ ... إن الذليل لديهم عَبْدُ
ويهلّ في الصحراء فجرُ سنًى ... عنوانه الإسلام والحمد
جَمَعَ الألى كانوا بها شِيَعًا ... ضات خطاهم مالهم رُشْدُ

(1) تضمين لمعنى قديم .

نشأوا على الفوضى ، فكم وُلِدتْ ... بنتٌ ، فكان مصيرها الوأد

وتقاتلوا دوما بلا سبب ... وتخاصموا وتفاقم الحقد

بالسيف كاد يذوبُ من حَنَقٍ ... لولم يضمَّ شباتَه الغمْدُ

وسنابك الخيل التي دميتْ ... من طول ما كانت هنا تعدو

حتى أتى الإسلام فأنبجَسَتْ ... منه الغيوثُ وأطفيءَ الوقد

وإذا القبائل وحدةٌ فتحتْ ... كلَّ الحصون فما لها وَصْدُ

كانت مشاعرهم بمقدمِه ... كالروضِ حين يقهقه الرعدُ

رفعوا على البيداء رايتَهم ... وغزا المدائنَ ذلك البند

كانوا غيوثا أينما نزلوا ... يخضرَّ منها السهل والنجد

وأنداح في الافاق متَّسعًا ... مثل الصدى في الأفق يمتد

فحدوده في الغرب أندلسٌ ... وحدوده في المشرق الهند

وجنوده اىُ الكتاب ، وكَمْ ... فتح المعاقل ذلك الجند

ملؤوا الدنا عدلا ومفخرة ... ومآثرا ما إنْ لها جحْدُ

وسرتْ بنا الأعوامُ دون ونًى ... فكأنها في جيدنا عِقْدُ

ألفٌ ونصفُ الألف يتبعها ... طال الزمانُ وأرهقَ العدَّ

ياللثواني ! في مسيرتها ... تمضي القرونُ ومالها عود

طورا نُرى في قمة سمقتْ ... ولكَم نُرى ومكانُنا الوهْدُ!

ذُقنا بها المُرَّ الزعافَ وكم ... ذقنا زلالا دونه الشَّهد

كُنّا لهذا الكون سادتَه ... وبنا يكونُ الحَلَّ والعقد

ومنارة تهدي الألى عشِيَتْ ... أبصارهم فعيونهم رُمْد

أيامَ قادتْ زحفنا فئةٌ ... مافيهمُ إلاَّ الفتَى الجلد

كنا زمانًا أمَّةً فغدتْ ... أممًا فما يحصيهمُ عَدَّ

وطنُ العروبة صار منقسمًا ... الخِلَ فيه لخِلّه ضد

وتلاعبتْ غِيَرُ الزمان بنا ... فمصير عزتنا هو الفقد

عبثت بنا فئةٌ مضلّلـة — نحو الهلاك يقودها وَغْـد
أيام قادتنا سماسرةٌ — في خدمةِ الأسياد كمْ جدّوا !
وتنكّروا للشعب إذ حكموا — وعنِ العروبةِ طالما صدوا
هم بددوا أمجادنا فغدتْ — يلهو بها أعداؤنا اللّدّ
كم خططوا غدرا مصائرنا — في الغربِ فهو بكفهمْ يعدو !
فأزالَ عزم الشعبِ شرذمة — تاريخُهم في الحكم مُسْوَدّ
فكأنّ كلّ حظوظنا أكرٌ — يلهو بهنّ النحسُ والسَّعدُ
ويهلّ قرنٌ فيه أمّتنا — أضحىَ يقود زمامها الرشد
سنعيدُ كرّتَنا لنحميها — بجنودِ صدقٍ دأبُها الذّوْد
ويحرر الوطنَ السليبَ غدا — شعبٌ له من عزمه رِفْد
ويخلصُ «القدسَ» المقيدَ منَ — بنضالهم يتحطَّمُ القَيْد
فعواطفُ التاريخ تجمعنا — والضاد والإسلامُ والودّ
ونقول للفئة التي اغتصبت : «من يغتصبْ فمآلُهُ الطرد»
ويظلنا قرنٌ لنا أملٌ — في أن يُعاد لنا به المجد
في ظل رايةِ وحدةٍ جمعتْ — كلّ الشعوبِ كأنها فرد

نور الدين صمود

(*) كتبت تحية للقرن الهجري الجديد وألقيت في مهرجان الشعر العربي بدمشق (نوفمبر 1979) . وستكون ضمن الديوان الذي سيصدره الشاعر في الأيام القليلة القادمة .

من أجل مغرب عربي موحّد

بقلم : د . المنصف ڤن

يرى بعض القوم لنوحدة المغرب العربى فكرة تولدت عن الواقع الاستعمارى وانتهت بانتهائه او هى ضرب من ضروب التخمين والحدس الذى لا طائل وراءه أو حلم جميل ولكن رغم جماله يبقى حلما بسيطا سرعان ما يتبخر . ويرى آخرون ان المغرب العربى سيندمج فى وحدة اشمل تمتد من المحيط الى الخليج هى وحدة الامة العربية جمعاء وان تحقيقه يأتى ضمن هذه الوحدة المنشودة .

حقا فى وقت يتنازع فيه بعض البلدان المغربية على مشكل الصحراء يبدو الحديث عن المغرب العربى ضربا من الخيال . ولكن هذا التنازع يقيم الدليل على عقم طريق الهيمنة والتسيطر وفرض الحلول بالقوة لا بالتى هى أحسن فى العلاقات بين بلدان المنطقة ويبين ــ اذا لزم البيان ــ ان السبيل الفضلى بين شعوب واعية وناضجة هى سبيل التفاوض وتحكيم العقل والنظرة البعيدة . وما من شك ان المشكل الصحراوى لو وضع فى اطاره الحقيقى الذى هو اطار المغرب العربى الكبير لوجد حله الطبيعى .

ان هذه النظرة المغربية للامور ليست خيالية بل هى تنبع من واقع حى ومن طبيعة الشعوب واواصر التعاون التى ربطت بينها عبر التاريخ . واذا اكتفينا بالتاريخ الحديث فلنذكر بوحدة الهدف ووحدة الصف التى جمعت الحركات الوطنية التحريرية فى تونس والجزائر والمغرب فى المراحل التى مر بها الكفاح الطويل ضد مستعمر واحد اراد ان يمسخ شخصيتنا ويفتت جهودنا ويفرق كلمتنا . فاحدى حركاتنا الوطنية كانت تسمى نفسها «النجم الشمال الافريقى» واسس الطلبة المغاربة بالهجرة بباريس « جمعية الطلبة المسلمين من شمال افريقيا » منذ اكثر من اربعين عاما ونظم الحزب الحر الدستورى التونسى

مظاهرات فى تونس فى 1937 ضد عمليات القمع المتبعة فى الجزائر وكون زعماء الحركات التحريرية وفى مقدمتهم المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة مكتب المغرب العربى بالقاهرة فى 1947 . ولما سقط فرحات حشـاد فى 1952 تحت العنف الاستعمارى انطلقت مظاهرات دامية فى الدار البيضاء وسقط اخواننا المغاربة فى الشوارع لانهم كانوا يعتبرون الزعيم التونسى زعيما لهم ورائدا من رواد وحدة المغرب العربى . وفى محنة الشعب الجزائرى الطويلة ضد النظام الاستعمارى كانت تونس وكان المغرب مجندين لخدمة القضية الجزائرية العادلة وجاءت ساقية سيدى يوسف فى 1956 واقعة تشهد بالتضامن فى الجهاد اختلطت فيها الدماء التونسية والجزائرية وساعدت بفضل عبقرية بورقيبة على تدعيم الاستقلال بتونس وثورة الجزائر فى العالم .

ولكن التضامن المغربى لم يكن فقط تضامنا فى الرفض لهيمنة الاستعمار بل كان ولا يزال تضامنا إيجابيا لبناء مستقبل أفضل لشعوبنا . ففى أفريل 1958 والشقيقة الجزائر لم تزل تخوض معركتها ضد الاستعمار ــ اجتمعت الاحزاب الوطنية الثلاثة بطنجة لتنظيم وحـدة البلدان المغربية فى تجمـع فدرالى . ثم احدثت فى 1964 لجنة استشارية مغربية ما زالت قائمة الى الآن تتناول بالدرس امكانيات التعاون الاقتصادى وتصدر توصيات سياسية يوم بلا شك تؤخذ فيه بعين الاعتبار . وبالرغم من ان فكرة المغرب العربى مرت بنكسات فى فترة ما بعد الاستقلال يجب ان نبين ان بعض الخطوات قد قطعت فى سبيـل تحقيق تلك الفكرة فى الواقع الملموس وان شعلتها لا تزال تتقد فى القلوب وفى الاذهان . ويكفى للدلالة على ذلك ان نسوق مثلين بسيطين :

اولا : اثر قرار للحكومة الجزائرية ازداد عدد الزائريـن الجزائريين بصفة باهرة لتونس الى حد انه بلغ فى ظرف سنتين تقريبا ربع عدد كامل السواح لهذا البلد . وقد سكن جلهم لا فى الفنادق مثل الاجانب بل فى العائلات التونسية نظرا للقرابة الموجودة بيننا . هذا يعنى انه يكفى للاطار الموجه اى الحكومة ان تخلق المناخ الميسر للتعاون حتى يستجيب المواطنون بصفة تلقائيـة وطبيعية لتجسيم ذلك التعاون وادخاله حيز الواقع .

ثانيـا : بناء انبوب الغاز العابر لتونس يعطى لذلك البلد فـرصة ثمينـة لتكثيف حركته الصناعية بالاعتماد على مدخرات وافرة مـن الطاقة من البلد المجاور ويشكل قاعدة جديدة للتدعيم المتبادل بين الشعبين الشقيقين .

ان سكان المناطق المتاخمة يعلمون اكثر مـن سواهم الى اى حـد من التفاعل والتآصر والتآلف تبلغ بهم علاقات الجوار جاعلة الحدود التى تفصلهم مفتعلة وغير حاجزة . فعلاقات المصاهرة تنمو كل يوم والصداقات والمصالح المتبادلة تتطور وتزدهر . ولو خلق الاطار المناسب وبعث المناخ التاسيسى المشجع لكان لهذه الحركة بين السكان والاراء والسلـع دفـع قـوى يجعلهـا تنطلـق على نسق سريع . ولكننا فى المغرب العربى اشبه شيء بافراد عائلة لم يساعدها الحظ على ان تتجمع، فنشعر بالحنين والشوق لبعضنا البعض وتهزنا الآمال العريضة فى الالتقاء وجمع الشمل ، ولكن العمل اليومى يلهينا عن بعضنا البعض فنسعى الى تعويض هذه الحالة بالخطـب والتصريحات الـتى ترمى الى ارضـاء رغبتنا العميقة فى الوحدة مع انها كلام طالما اعوزته العزيمة الصلبة والنية الراسخة على الانجاز المدقق والتنظيم المحكم والعمل الدؤوب لتحقيق تلك الرغبة العميقة .

على ان ما تطلبه شعوبنا وبالخصوص اجيالنا الصاعدة ليس بالعسير . انها تطلب من مسؤولينا ان يكونوا فى نظرتهم للمغرب العربى واقعييـن وعمليين مثلما عهدناهم فى نظرتهم وممارستهم لشؤون بلادهم . فشعوبنا تطلـب منا عندما نشترى سلعا وخدمات من الخارج ان نعطى الاولوية للمغرب وعندما نبيع سلعا وخدمات الى الخارج ان نعطى الاولوية للمغرب وعندما نتفاوض مع الخارج ان نقرب آراءنا وننسق مواقفنا ونوحد صفوفنا وعندما نستثمر ان نفكر عـلى المستوى المغربى وعندما تنقل اذاعاتنا وصحفنا الاخبار ان نعطى المغرب العربى التغطية اللائقة به وعندما نربى ونكون ابناءنـا ان نغرس فيهم محبـة المغرب العربى وان نلقنهم مثلنا العليا المشتركة ومقومات شخصيتنا الفذة وان نشجع تبادل الآراء والتجاوب وان ندعم التعاون التكنولوجى بين نخبتنا الفنيـة فى جميع الميادين وان نمكن شبابنا وشغالينا وقوانا الحية من التعارف والمناقشة النزيهة والاستعداد لبناء مستقبل مشترك .

قد يرى بعضهم ان الاختلاف فى الانظمة العامة او التيارات الايديلوجية او المواقف التكتيكية تبعدنا عن التعاون وان الوحدة الحق لن تكون فى هذه الحال. ولكن هذه النظرة هى فى الحقيقة التى عرقلت مسيرتنا المشتركـة وهى اكبر عائق للتعاون الوثيق بيننا لان التدخل فى الشؤون الداخلية لكل بلد لا يقبله المسؤولون ولا الشعب فى ذلك البلد حتى ولو كان تدخلا اخويـا . فافـراد العائلة الواحدة قد يختلفون في المواهب وفي الطبائع وفي الاتجاهات ولكن تجمع بينهم الغاية المشتركة ومصلحة العائلة نفسها . اذ ان تنوعنا خـلاق مـا دام

منسجما ومتضامنا . بل بالاحرى قد نجد فى هذا التنوع مراكز دعم لوحدتنا وتكاملا لمقوماتها وتلاقحا لطاقاتها . وبناء المغرب الكبير لن يكون الا من اطراف متساوية وواعية ومسؤولة وهذا البناء عملية طويلة النفس شاقة وهامة يجب ان يساهم فيها كل واحد منا باحسن ما اوتى من مواهب ومن طاقة بذل . ولذا يجب ان يساهم بكامل الحرية وان يتزود بكثير من الصبر والتسامح .

ولا شك ان آفاق بناء المغرب العربى مفتوحة فى الميادين الاقتصادى والثقافى فعلى الصعيد التجارى يمكن تكثيف حجم المبادلات بين بلدان المغرب اذا توفقنا الى اقامة وحدة قمرقية بينها بصفة تدريجية تضمن خلق تراب قمرقى موحد تتحرر فيها حركة السلع والخدمات على مراحل . وتمتاز الوحدة القمرقية على منطقة التبادل الحر بطابعين ، أولها أنها ارقى فى سبيل الاندماج الاقتصادى وثانيها أنها تمكن من إقامة جدار قمرقى نتفق عليه معا حول بلدان المغرب ازاء السلع والخدمات الاجنبية التى قد تغزو السوق المغربية . وهى خطوة هامة نحو تنظيم سوق مغربية مشتركة ستقام لما نحرر حركة وسائل الانتاج من يد عاملة وراس مال بين البلدان المغربية الى جانب تحرير المنتوجات نفسها . واذا نجحت هذه التجربة قد نتشجع ونكون وحدة اقتصادية شاملة بتنسيق السياسات الاقتصادية الاجمالية التى تتبعها دولنا فنجمع اقتصاديا بلدانا ستعد فى نهاية القرن العشرين اكثر من 70 مليون نسمة لها دخل فردى سيكون من اعلى المداخيل فى افريقيا ونتمكن بذلك من ان نبعث صناعات ضخمة ورائدة تقدر على المنافسة العالمية وتستطيع ان تتحكم فى التكنلوجيا العصرية مثل ما هو الحال الآن فى البرازيل واليابان او فى التكتلات العملاقة التى تكون حولنا كالمجموعة الاوروبية . ونصل الى فترة الاندماج الاقتصادى التام عندما تصير السياسات التى تهم الميزانية والنقد والاستثمار موحدة .

ومما سيعين على تحقيق هذه الانجازات وجود عوامل انسجام قوية فى الميدان الثقافى اذ اننا معشر المغاربة نتكلم نفس اللغة وندين بنفس الدين الحنيف ونتبع نفس العادات ونتوق لنفس المثل العليا . لذلك وجب تخصيب هذه العوامل الثقافية باتخاذ برامج تربوية منسقة وتشجيع تبادل التجارب والاراء والبحوث ووضع مواردنا التقنية وكوادرنا الفنية فى خدمة مجتمع المستقبل الذى نريد ان نبنيه معا وتكوين اجيالنا الصاعدة تكوينا ذا آفاق مغربية حتى نصل الى تصنيف طريقة فى الحياة مغربية الطابع فذة الاسلوب

اصيلة المحتوى .

لاشك ان ارساء قواعد مغرب عربي موحد يشكل خطوة هامة في سبيل وحدة العالم العربي . فهذا العالم الذي يمتد من الخليج الى المحيط يحتوي على اجزاء لها خاصيات معينة يسهل توحيدها كمرحلة نحو الوحدة العربية الشاملة مثل المغرب العربي ومجموعة مصر والسودان وبلدان القرن الافريقي ومجموعة بلدان آسيا الصغرى كفسلطين والاردن والشام والعراق ومجموعة الخليج .

ان الزيارات الاخيرة التي قام بها السيد محمد مزالي الوزير الاول الى المغرب والجزائر على التوالي ــ وكانت اولى زياراته كوزير اول خارج تونس ــ اعانت فكرة المغرب العربي الكبير عونا حقيقيا حيث خلقت جوا مناسبا للتعاون وساهمت في رفع الشكوك والالتباسات واعطت التضامن المغربي دفعا جديدا.

ففي مواصلة هذا الحوار الخلاق واعداد البرامج المضبوطة للتعاون وتتبع تطبيقها عن كثب وبعث تيار شعبي يخدم المصلحة المشتركة سنتبين هل ان سنة 1980 ستختلف عن 1958 وهل ان العشرين سنة ونيف التي مرت اقامت الدليل على ان المغاربة بلغوا سن الرشد الذي يمكنهم من الثقة بانفسهم والثقة ببعضهم البعض ؟!حتى يسيروا بخطى ثابتة نحو المصير المشترك والرقي الحضاري والمناعة .

د. المنصف قـن

الاشعـاع مـن ثـانويـة بنـي خـداش

وصلتنا نشرية تحمل اسم « الاشعاع » ويصدرها المكتب المحلي للشبيبة المدرسية بالمدرسة الثانوية المهنية ببني خداش بتعاون مع نخبة من الاساتذة والقيمين والاداريين وقد جاء العدد الاول محتويا على مواضيع مختلفة يغلب الطابع العلمي فيها على الطابع الادبي .

نرجو لهذا النشاط الثقافي الاصرار على البقاء إشعاعا متسما بطول العطاء الجاد تحت اشراف مدير الثانوية الاستاذ الشاعر الصديق سعد الغزال .

قـابيـل ...

شعر : مصطفى الحبيب بحري

جـاري صيـاد في المـاء العَـكِرِ
وأنـا لاأحسـن ألعاب الصيد
لـكنني أعلم أن الصيْدَ يـكون من الاعماق وأنَّ الجارْ ...
ستدور بـه الدنيـا وسيصبح في يوم مـا عصفـا مـأكولافي المـاء العكِرِ
ويظـلّ يـدورُ يـدورْ
ويظـل الرعبُ من المجهـول يـؤرقـه
ويـمـزّقـهُ
ونحمْـلِقُ في أعـمـاقِ الظلمةِ عـينـاهُ
فـلعلّ الظـلـمـةَ تنْسَـلِـخُ
ولـعـلّ الـليـلَ يـغُـورْ
ولـعـلّ دمـاءَ ضحايـاهُ
تـتـجـمّدُ في بـئـرٍ مهـجـورْ

* * *

القـاتـل قـد يـغتـرّ بمـرأى الـدّمْ
قـد يقتل يقتـلُ حتى لا يبقى في جسمٍ حيّ قلبٌ خفاقْ
قـد يشرب يشرب من ينـبوع الـدّمْ
حتى يتحول تمثالا دمويـاً لا تستهويه الاشواقْ

حتى يطويه السيلُ الجارفُ عصفا في عمقِ الأعماقْ
يا ويلَ القاتلِ يشربُ من ينبوع الـدَّمْ

* * *

هيهات تنـامُ عيونُ القاتل مهما شطّبه الخَدَرُ
فليشربْ كلَّ خمور الـدنـيا وليستنشقْ ذراتِ الأفيونْ
وليحيِ العزلـةَ أو يحيَ الصّخبَ المجنونْ
فعيونُ ضحاياهُ
ستظلُّ تُثير إليه الرعبَ فلا يغفو وتظلُّ الوحدةُ تصعقُهُ
يـا ويـح القـاتـل لا يغفو حتى لو شط بـه الخدَرُ
يـا ويـح الـقـاتل لاعهدٌ يحميه ولا نُذُرُ

* * *

قابيلُ أخوهُ اللهُ تقبَّلَ قربانهْ
قـابـيلُ اللهُ
لـم يـقـبلْ قـربـانَـه
فتجرَّأ في يوم ما من أيـام التاريـخ الغـابـر
زرعت كفاهُ بـذورَ اللعنـةِ في قـلبِ الانسانْ
قتلتْ كفـاهُ أخاهْ
لم يعرفْ كيف يواريـه قـبرهْ
لولا أن جاء غرابٌ يبحث في الأرضْ
يـا للتّـعسِ الحظّ
قابيـلُ القاتـلُ تمثـالٌ دمـويٌ صاغته الحسرةْ
قابـيلُ يبـوءُ بأثْمـَـيْهِ
بدمـاء أخيـهِ يطلخُ كفَّيهِ

قابيلُ تبوّأ أعماقَ النّارِ
يا نعمَ البائعُ يا بئسَ الشاري
في سفر الأقوال المأثورة قد خُطّتْ كلماتْ
عاشت عبرالزمنِ الغابرْ
حتى الحاضرْ
عاشت كل الازمانْ
عاشت من أجلكَ يا انسانْ
كلماتٌ يرويها سفرُ الأديانْ :
« أنفى للقتْلِ القتْلْ »
كلماتٌ أخرى في سفر الأقوالِ المأثورةْ :
« يا قاتل إن صرختْ ثاراتُ الروحْ »
« فلتبحثْ أينَ تروحْ »
ولتشربْ كلّ خمور الدنيا ولتستنشقْ ذراتِ الأفيونْ
ولتحيَ العزلةَ .. أو تحيَ الصخبَ المجنونْ
فعيونكَ لن تغفو حتى أو شطّ بكَ الخَدَرُ

* * *

جاري
يا صائد في الماءِ العكِرِ
إني لاأحسن ألعاب الصيدِ
لكنني أعلم أن الصائدَ في الماءِ العَكِرِ
ستدور به الدنيا حتى يتحول تمثالا دمويًا لاتستهويه الاشوَاقْ
حتى يطويه السيل الجارف عصفا في عمق الأعماقْ
يا ويحك يا جاري إذْ تصبحُ يوما ما عصفا مأكولا في الماءِ العكرِ

مصطفى الحبيب بحرى

نحو تربية اسلامية صالحة لزماننا

د . محمد فاضل الجمالي

استقبل العالم الاسلامي القرن الخامس عشر الهجري وهو مثقل بما خلفته عهود التخلف والاستعمار من مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية واخلاقية وعقائدية. وفي الوقت نفسه نشاهد يقظة عامة تشمل كل أجزاء العالم الاسلامي تقريبا يقظة ترافقها عزيمة اكيدة للنهوض واللحاق بركب الحضارة العصرية وتحقيق المستقبل الافضل على أسس اسلامية قويمة وبروح متحفزة حركية. ان تحقيق ذلك يتوقف على اختياراتنا التربوية :

يقف المفكر الاسلامي في مجابهة هذا الموقف الجديد متسائلا في حيرة وتأمل ما هو الهدف ؟ وفي اى اتجاه نسير ؟ شرقا ام غربا أم على الصراط المستقيم ؟ ما هي الوسيلة لبلوغ الهدف ؟ من الطبيعي ان تكون الاجوبة على هذه الاسئلة مختلفة من بلد اسلامي الى آخر اذ هناك آراء ونظريات متضاربة تسيطر على هذا البلد الاسلامي او ذاك ، فمن تمسك باهداب الشريعة الاسلامية وتعليمها الى العلمانية الى الالحاد . وهذا مما يزيد في بلبلة الفكر التربوي الاسلامي ويعقد مشاكله .

ففي العالم الاسلامي اليوم من يرى ان التربية الاسلامية بصيغتها التقليدية وكما ورثناها بمحتواها وأساليبها هي ما يجب أن يعم . وان النظم الحديثة قد لا تضمن لنا تخريج علماء نقاة أو مواطنين شرفاء ، إنها تخرج اناسا يحملون شهادات تعطى بعد دراسات قد « تمزج السم بالدسم » . وقد تكون وبالا على مستقبل الامة والوطن . وهناك من يقول : ان التربية التقليدية باساليبها البالية وبمحتواها المتحجر لا تصلح لزماننا فهو يرى اقتباس النظم التربوية من الشرق الشيوعي أو الغرب اللبرالي بعجرها وبجرها .

والتعليم الرسمى فى العديد من البلاد الاسلامية يتأرجح بين النظرتين وفى الغالب تطغى عليه النظرة الثانية نظرة الاقتباس مـن الغرب . فمعظم الدول الاسلامية اقتبست نظمها التربوية من الغرب وفيما اقتبسته الصالح والضار . فيه ما هو صالح لزماننا وفيه ما هو بال وسقيم باعتراف الباحثين والمفكرين فى البلد الذى اقتبست منه النظم المستوردة . فما يقتبس من الخارج قد لا يلائم احتياجاتنا وظروفنا ومما يؤاخذ عليه النظام المقتبس هو عدم عنايته عناية كافية بالتكوين الدينى والاخلاقى لناشئتنا . كما انه فى التطبيق عندنا قد يعمل على « قولبة » الطالب ويحجر حريته وافكاره كما انه قد يرهق الطالب بتعدد المواد النظرية الجافة المطلوب حفظها ببغائيا لغرض اجتياز الامتحان ونيل الشهادة . كما ان التربية كما تمارس عندنا لاتعنىالعنايةالكافية بالاتصال بالحياة وبالواقع النتيجة هى أن الانظمة المعمول بها فى العديد على الاقطار الاسلامية قـد تخرج طلابا اتكاليين لم يهيأوا للخـوض فى معترك الحياة . انهم عالة عـلى الدولـة ينتظرون من الدولة ان تطعمهم وتكفل معاشهم باقل ما يمكن من الجهد والتعب من قبلهم . فتربيتنا المدرسية فى الغالب تفصل بينالعلم والعمل وبين الفكر واليـد .

إن كلتا النظرتين الى التربية ـ النظرة التى تدعو الى الاخذ بالقديم وتعاف الجديد أو النظرة التى تزدرى بالقديم وتحـاول تقليد الغرب تقليدا تـاما ـ لا تحققان مطامح العالم الاسلامى الناهض . فالعالم الاسلامى يحتاج فى نظرنا الى الاخذ بالفلسفة التعليمية الموحدة والموحدة التى تبنى على الاسس التالية :

1) درس اوضاعنا ومشاكلنا الدينية والاخلاقية والاجتماعية والسياسيـة والاقتصادية . وتشخيص مواطن الضعف والقوة فى كياننـا الانسانى بتجرد وباسلوب علمى موضوعى جهد المستطاع .

2) درس تراثنا التربوى الاسلامى وتشخيص عناصر القوة فيه للاحتفاظ بها وتعيين مواطن الضعف لتجنبها .

3) درس ما حققه الغرب من انجازات قيمة فى الحقل التربوى واقتباس ما يلائمنا منهـا .

4) صوغ فلسفة تربوية متجددة للعالـم الاسلامى تكـون محصلة درسنا لاوضاعنا وتراثنا من جهة والاخذ بالعلوم المضبوطة ومـا انجزتـه فى حـقل التقنيات من الجهة الاخرى .

5) القيام بتخطيط تربوى شامل يؤمن لنا الانتقال من حاضرنا المتخلف الى مستقبلنا الزاهر .

6) اعداد الوسائل من مال ومربين ومرافق وكتب واجهزة وادوات تربوية لتحقيق هذه الاهـداف .

ان فلسفة التربية التى يحتاج اليها عالمنا الاسلامى اليوم ينبغى ان تبنى على قواعد : الشمول والتوحيد والتطور وهى مـا ندعوها بالفلسفـة التكامليـة انها فلسفة تتفق تماما مع المبادىء التربوية التى يدعو اليها القرآن الكريم وانها تحتوى على كل ما جاء به العلم الحديـث والتقنية الحديثة مـن خير وصـلاح للانسانيـة .

وان هذه الفلسفة تتناول حياة الانسان الفرد والمجتمع من كل جوانبها . وها نحن فيما يلى نقترح الاهداف التربوية التالية آملين ان تحظى اقتراحاتنا هذه بالدرس والحوار من قبل المسؤولين عن شؤون التربية فى العالم الاسلامى :

1) كل عمل تربوى ينبغى ان يستمد هديه من الايمان بالله تعـالى فالله سبحانه هو مربى المربين وعلى التربية الاسلامية ان توقظ الداعى الروحى فى الجماهير الاسلامية . وان تساعد المسلمين على ادراك ان هذا الكون لم يخلق عبثا بل انه ناشىء عن قصد إلهى ويسير وفق قوانين إلاهية وان المطلوب من الانسان الذى فضله الله على كثير من خلقه ان يقوم بدوره فى تحقيق مشيئة الله وذلك باتباع طريق الهداية والمعرفة والحكمة والانجازات الخلاقة . فحياة الانسان اذا تشبعت بالايمان تصبح ذات قصد ومعنى .

2) غرس الفضائل الاخلاقية فى النفوس ، فالمطلوب مـن المسلم ان يتحلى بالفضائل الاخلاقية الكريمة التى نص عليها القرآن الكريم ومارستهـا السنة النبوية الشريفة ، ان اعتقادنا الراسخ هو ان المجتمعات الاسلامية لن يتسنى لها النهوض الحقيقى الابتربية تؤسس على الايمان والفضيلة .

3) ان كلا من الايمان والفضيلة يتوقان الى الحياة الديمقراطية الصحيحة ، ذلك لان الديمقراطية باسمى معانيها تعنى الشورى والمشاركـة فى التفكيـر والتخطيط والتنفيذ من قبل كل الافراد الذين يشكلون جماعة موحدة المصالح والاهداف والشورى كما هو معلوم هى من مشمولات التعاليم الاسلامية . ولذلك فالديمقراطية (الشورى) ينبغى أن تمارس فى البيت وفى المدرسة وفى المشاريع الاقتصادية وفي تسيير شؤون الدولة،وهى تتطلب التقدير والثقة المتبادلة بين اعضاء الجماعة على اختلاف مستوياتهم ومسؤولياتهم . ثـم انها تقـرن الفرد بالحرية والكرامة بدرجة تحمله المسؤولية ازاء الجماعة فلا حرية بلا مسؤولية .

4) ومن الهدف الدمقراطى ينبع هدف «العدالة الاجتماعية»وذلك يتطلب تهيئة فرص تعليمية متساوية لكل أفراد الجماعة بدون تمييز أو تحيز على أساس الرس أو اللون أو الطائفة الدينية أو الجنس أو الطبقة الاجتماعية أو الموقع الجغرافى او المستوى الحضارى، فلا مجال «للمحسوبية والمنسوبية» فى التربية الاسلامية.

5) غرس وتنمية الوعى بالانتماء والولاء وممارسة التعاون والتعاطف بين ابناء الامة ، فالولاء والصفاء فى داخل الاسرة وبين افراد المجتمع وبين المواطنين والدولة وبين الاخوة المسلمين فى شتى انحاء المعمورة ينبغى ان يكون من اهم اهداف التربية الاسلامية والعالم الاسلامى اليوم يعانى من آلآم الخلافات والانقسامات وفقدان الانسجام بين افراد العائلة الواحدة وبين ابناء قطر واحد وبين دولة اسلامية واخرى ، ان عوامل التفرقة قد تكون نتيجة جهل او سوء تفاهم وقد يدسها العدو بطرق شيطانية غير مباشرة فالمطلوب من التربية الاسلامية ان تستهدف الحياة التى يسودها الاخاء والصفاء وان تنمى الشعور بالولاء للاسرة وللامة ولاولى الامر .

6) نشر العلوم المضبوطة والتقنيات بين المسلمين ، فبالعلم المضبوط وبالتقنيات يتخلص المسلمون من رواسب التخلف وينتقلون من عصر ما قبل العلم الى عصر تطبيق العلوم على الحياة الحديثة ، فالمطلوب غرس حب البحث عن الحقيقة فى المسلمين بحيث يسر الفرد المسلم وينشرح بكل معرفة جديدة وبكل اكتشاف .

7) تأمين الصحة والسلامة الجسدية والعقلية بين المسلمين كافراد وكجماعات . فيجب أن يؤكد على أهمية النظافة والتغذية المتوازنة والرياضة البدنية والراحة الضرورية لضمان الصحة والنشاط ، كما يؤمل غرس مكافحة الدخان والكحول والمخدرات والعلاقات الجنسية المحرمة باعتبارها ضارة بالصحة العامة للافراد والجماعات ، ولا شك فى ان من اهم مقومات الصحة الجسدية النفسية تأدية الفرائض الاسلامية وفى مقدمتها الصلاة والصوم ، فالمطلوب من التربية الاسلامية ان تؤكد على ممارسة الفرائض الدينية .

8) نشر حب العمل المنتج وممارسته بين كل افراد الامة بحيث يضيف كل فرد حسب طاقته ومواهبه الى ثروة المجتمع ورفاهه ، ينبغى ان ينشأ الجميع على ممارسة العمل اليدوى واحترامه ، فالذين يشتغلون بايديهم ينبغى أن تهيأ لهم الفرص ليتمتعوا بالحياة الفكرية والجمالية ، والذين يشتغلون بأدمغتهم ينبغى ان تتاح لهم الفرص للاشتغال بايديهم .

9) ينبغى ان يشجع الابداع والتمتع بالفنون الجميلة التى تسمو بالانسان

كفن ترتيل القرآن الكريم أو الموسيقى الخالدة او الشعر الرفيع او الرسم والخط الجميل والتمثيل . كما ينبغى تشجيع الفروسية والسباحة والرماية كما نرجو ان نتجنب الفنون التى تتسم بالميوعة والتخنث أو التى تولد اليأس والبؤس فى النفوس .

ان الوسائل الآلية الحديثة ستوفر للانسان وقتا كافيا للتمتع بالراحة والاستجمام . والفنون الجميلة والاعمال اليدوية والرحلات والالعاب الرياضية والمطالعة الحرة هى من أفضل ما يمكن ان يتمتع به الفرد فى هذه الاحوال .

10) ان التربية الاسلامية ينبغى أن تستهدف جعل المسلمين يدركون بانهم يعيشون فى عالم واحد مع البشرية جمعاء فقد ذابت المسافات وتشابكت المصالح بين الشعوب والأمم وقامت المنظمات الاقليمية والدولية لتنظم التعاون والتلاقى بين الدول على اساس البر والتقوى ومقاومة الاثم والعدوان وهذا الجو الانسانى الجديد يتيح للمسلمين الفرصة لأن يقدموا للبشرية القدوة الحسنة فى حياتهم وفى تعاملهم فيما بينهم ومع غيرهم من الامم والشعوب ، وهذه الفرصة تهىء للمسلمين المجال لحمل رسالة الاسلام الى البشرية كافة وهذا اسمى ما تصبو اليه التربية الاسلامية الحق .

ان الاخذ بهذه الفلسفة التربوية يتطلب اعادة نظر جذرية وتخطيط جديد لنظمنا التعليمية والتربوية من حيث برامجها واساليبها ووسائلها . فان قضية التربية والتعليم فى العالم الاسلامى تشكل أعظم مشكلة أساسية يجابهها العالم الاسلامى اليوم « اذ كما تكون التربية الاسلامية اليوم يكون العالم الاسلامى غدا » .

ومن الله التوفيق

د. محمد فاضل الجمالى

المراجع للمؤلف :

(1) تربية الانسان الجديد .
(2) آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية .
(3) نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى .
(4) نحو تربية مؤمنة .
(5) دعوة الى الاسلام .
(6) نحو تجديد البناء التربوى فى العالم الاسلامى (معد للطبع)
(7) كل هذه المراجع طبعت فى تونس الخضراء .

تحية العروبة

شعر: الهاشمي زين العابدين

أقفو خوالدك الجلّى وأندلف
والبرّ ينهج بي فيها ويكتنف
وأستمدّ كياني من أصالة من
تفيّأ الظلّ واستسقى بما يكف
من غيث يعرب تشرابي أعلّ به
حتّى إذا حمّت الحاجات أغترف
كي يطهر القلب من ظنّ يساوره
وتسلم النفس ممّا زيّن القرف

* * *

حيّ ابن يعرب إنسان الورى رجلا
وحيّه سيدا للنّبل يعتنف
وحيّ فيه النّهى إمّا احتكمت إلى
الرّأي السّديد براه الوازن الحصف
وأنبئوني عن قوم لهم قدم
كاليعربية في الدّهماء مذ عرفوا
من يوم أن أنزل القرآن خلّدها
فالعرب عرب بما كانوا وما اختلفوا

وَإنّ تَخليدَهُ لِلضادِ بَيْنَهُمُ
تَخْلِيدُ أقْوَى العُرَى فِيهم لِيأتَلِفُوا
فَالضَّادُ عَهدٌ وَخُلقٌ ، وَهو ضادُ حمى
وَرَكْبُ أُمَّتِهِ يَسْعَى وَلاَ يَقِفُ
وَإنَّمَا يَعْرُبُ الدنْيَا أرُومَتُهُ
شَمسٌ تُشِعّ وَظِلّ بِالوَفَا يَرِفُ
فَإنْ سَقَيْنَا رَوَيْنَا الأرْضَ فازدهَرَتْ
وَإنْ حَمَيْنَا فَجُندٌ بِالقُوَى يَزِفُ
نَحمِي الذّمارَ ونَرعَى العَهدَ عنْ كرم
مَا زَالَ يُغْدِقُهُ عن جَدّهِ الخَلَفُ
فَكَيفَ نَنْحَلّ عن مَجدٍ وتُسلمنَا
إلى العِدى أرْهُطٌ فِي شَأْوِهِ نَحفُوا
فَيَعْرُبُ الأمّةَ الكُبرَى التِي جَبَلَتْ
قَوْمِيَّةً بِسِوَاهَا لَيسَ نَتَّصِفُ
وَكُلّ مَن رَامَ تَفْرِيقا لِوَحْدَتِنَا
أَوْ شَاقَهُ النَّيلُ مِنهَا فَهوَ مُنحرِفُ
وَإنّ من حَادَ عنْ إجْمَاعِ أُمَّتِنَا
يَلْقَى خَطايَاهُ مَهمَا كَانَتِ الكلَفُ
وكَيفَ يَقطعُ مَقصوصُ الجناح مدى ؟
وكَيفَ يَعلُو بهِ الترجافُ والجَدَفُ ؟!

* * *

يَا وَحدَةَ العَرَبِ العُظمَى وَجَامِـ
ـعَةَ الشمّ الأبَاةِ بَنَاها لِلورى الأنَفُ

أرْسَى عَلى الدّهرِ بالجَوزَاء شَاهِقهَا
طَوداً مَنيعا عَلى الدّهْمَاءِ يَشْترفُ
يُضِيءُ لَيلَ البَرَايَا نُورُ كَوكَبِهِ
هَدياً مُبِينا بِأي الرّشْدِ يَرْتَسِفُ
يُبَارِكُ الأمّةَ الكُبْرَى قَدِ اتّحَدَتْ
رَسِيسَةَ الصّفّ يُذْكِي ذَودَهَا الشنفُ
مِنَ المُحِيطِ إلى ذاكَ الخَلِيجِ ، عَنِ الـ
ـحوضِ الذي رَامهُ الطُّغيَانُ واللهفُ
غَضُوبَةٌ لِبِلادٍ جَاسَ حُرْمَتَهَا
رَهطٌ دَخِيلٌ بِثوبِ المَكرِ يَلتَحِفُ
مُصِرّة بِقُوَى الحَقّ المَتِينِ عَلى
أنْ تَسْتَرِدّ بقَاعا غَالَهَا الجَنَفُ
وإنّ دَارا لَهمْ فِي عُقْرِ أرْضِهِم
امْتَدّتْ إلَيهَا يَدُ الآثَامِ تَرْتَجِفُ
غَصبا وقَهْرا أنَاخَتْ فِي مَرَابعِهَا
تَستَأصِلُ العَرَبَ الأقْحَاحَ ، تَجتَرِفُ
لِتَزْرَعَ العِلجَ فِي أرْجَائِهَا بَدَلا
من أهْلِهَا ، يَزدهِيهَا الغَشْمُ والصلفُ
وتَسْتَعِدّ بِمَا تَلقَاهُ مِنْ سَنَدٍ
مِنْ بَعْضِ أُمّتنَا ... يَا سُوء ما اقترفوا
جَاؤوا بِصِهيونَ من أرضِ الأعاجم من
أقصَى العَوالِمِ أشْتَاتا بِهَا وقَفوا

لـَكـِنـَّهـَا وَقـْفـَة ٌ لنْ يَسـْتـَتـِبَّ لـَهـُمْ
فِيهـَا المُقـَامُ فـَلا نـُعـْمـَى وَلا َ تـَرَفُ
هـَذِي فِلِسـْطِينُ مـَهـْدٌ لِلعـُرُوبةِ. لا َ
مـَاوَى الزّنـِيمِ وَلا َ مِلكُ الأُلى احـْتـَلفـُوا

* * *

يـَا أمـَّة َ العـُربِ يـَا أحـفـَادَ خـَالـِدهِـمْ
أحـْفـَادَ حـَامِلِ سـَيـفِ الحـَقِّ ما وُصِفـُوا
أنتمْ بـَنـُوهمْ وأبـْطالُ الحـِمـَى أمـَا
وأنـْتـُمُ أنتـُمُ الأهـْلـُونَ لا َ الطـَّـرَفُ
لـَنْ تـَسـْتـَكـِينوا، وَرَبَّ العـَرْش يكلؤكـم
بـِنـَصرِهِ، وَانشُرُوهمْ حـَيـْثـمَا ثـُقِفـُوا
فـَالحـَقَّ فِي الحـَقِّ مـَكـْنـُونٌ فلا أسـَلٌ
يـَقضِي علـَيـْهِ، ولا َ القـَنـَّاصُ يـَخـتـَطِفُ
وَالحق فِي أنفـُسِ المُسْتأثِرِينَ بـِهِ
هـُم الحـُماةُ الألى عـَن غـَيـْرِهِ انـْصرفوا
فـَلـَنْ يـَطُـولـَنَّ عـَيـْشٌ بِالغـَصوبِ وفِي
دَمِ العـُرُوبـَةِ قـَانٍ ، دَافِقٌ ، دَنِفُ
عـَبـرَ الشـَّرَايـين يـُذكِي فِي جـِبـِلـَّتـِهـمْ
رُوحَ الحـَمـِيـَّةِ والذَّوْدِ الذِي ألِفـُوا
إن كـَان بَـذلُ نـَفِيسٍ فِي الصغائرِ قـَدْ
يـُغـْنِي فـَلـَيسَ بـِشافٍ هـَهـُنـَا اللـَّطـَف
وَلا َ المـدَارَاةُ فِي حـَقِّ الـكِيـَانِ لـَنـَا
وفِي حـِمـَانـَا ،ونحنُ العربَ مـَن عـُرِفـُوا

فالعزّ والهِمّةُ القَعساءُ مِن قِدَمٍ
والمَجدُ والطَعنَةُ النَجلاءُ والحَصَفُ
والجَارُ والكَرَمُ الطّائي أجْوَدُهُ
قَصرٌ على العُربِ منهُ الوِردُ والرشفُ
يَهُونُ أنفُسهُمْ في كلّ مَكْرُمَةٍ
يُسارِعُونَ — وهُمْ شُمّ — لها أُنفُ
أمّا سِواهُمْ فأسْرَى، لا يَطيبُ لَهمْ
عِندَ البَليّةِ، إلاّ المَينُ وَالزّلَفُ
أسْرَى الأنامِ أُسارَى خَسّ مَطعمهمْ
فَمِنهُمُ الغِرّ وَالمَعتُوه والقَصِف
وَالبَاسِطُونَ إلى الأعداءِ أيْديَهُمْ
كأنّ عَيشَهمُ الإملاقُ وَالشّظَفُ
وَالشّهمُ لا يَرتَضِي بِالذّلّ مُرتزِقا
فَشِيمَةُ الحرّ مَوتُورٌ وَمُنتَصِفُ
هَذا يُنازِلُ حتّى النّصرِ طَاغِيَةً
وَذاكَ يَثأرُ لِلجُرحِ الّذي نَزَفُوا
وَإنّ أرْوَعَ يَوْمٍ أنتَ تَذكُرُهُ
ذِكرَ الذي يَزْدَهِيهِ العِزّ وَالشّرَفُ
يَوْمٌ بِبَغْدادَ إذْ قالَ العُرُوبَةُ: لا.
لنْ يَستَبيحَ كِيانَ العُربِ مُعتسفُ!
فِي وَجهِ مَن غادرُوا صفّ الإباء قفُوا
وَوَحّدُوا الشّملَ فِيهِ يَنتفِ الأسفُ

عَلى الأُلى تَرَكُونَا عنْ طَوَاعِيَةٍ
وَللتَّخَاذُلِ فِي أَوطَانِنَا هَتَفُوا

وَاسْتَبدَلُوا الأمَّةَ العُظمَى بِشِرذمةٍ
وَاستَسلَموا عَن رِضا لِلهونِ واعتكفوا

نَحْمِي فِلِسطِينَ . إنّا من سُلالة أجْـ
ـدادٍ إذا نَازلُوا فِي الحقّ ما انْخسفوا

وَ لا أصَابَهُمُ استِخْذَاءُ مُبْتَئِس.
نَأسَى عَلَيْهِ إذَا مَا خَابَ مُنْكَسِفُ

ألقَى السِّلاحَ كَمَا يُلْقِيهِ مُنْكَسِرٌ
مُسْتَسْلِمٌ لِلدُودِ غَرّهُ الصَّلَفُ

نَحْمِي الحِمَى وَفَلاحُ الصَّادقين لنَا
وَأنَّ صَهْيُونَ ـ ما استعلى ـ له التَّلفُ

أرْضُ العروبَةِ للأهْلِينَ عَوْدَتُهَا
فَلَوْ أجَابَ الثَّرَى بالعُرْبِ يَعْتَرِفُ

لَنْ تَسْتمرَّ لِصَهْيُونٍ بهَا نِقَمٌ
وَلَنْ يُطَمْئِنَهُمْ أمْنٌ وَلا رَهَفُ

فَشَأنُ مُحْتَلَّ أرْض الغيْرِ أنْ يَدَعْ
المغْنَى لِصَاحِبِه مَهمَا عَتَا الشَّغَفُ

يَعُود مِنْ أبَقٍ مَنْ خَانَ ذِمَّتَهَا
وَيَرْعَوِي . ثمَّ يَبْقَى العَارُ وَالزَّرَفُ

* * *

يَا سَاسَةَ العُرْبِ يَا حُفَّاظَ جَامِعَةٍ (*)
إنِّي إليْهَا وَمِنْهَا العُمرَ أرْتَشِفُ
لَوْلا الذي قَامَ بِي منْ غَيْرَةٍ نَبُلَتْ
علَى العُرُوبَةِ أيًّا كَانَتِ النُّطَفُ
مَا كنْتُ أعْقِدُ آمَالا وَ أحْبِسُهَا
علَى هُدَاكِ لِتَقْوِيمِ الذِي نَسَفُوا
بَيْنَ الأخُوَةِ جِيرَانا وَبَيْنَهُمُ
فِي كُلِّ أرْضٍ بِضَادٍ تُقْرَأُ الصُّحَفُ
هَذَا صَبَاحُكِ وَالاشْرَاقُ ضَحْوَتُهُ
جلَتْ مَعَالِمُهُ فانْزَاحَتِ السُّجُفُ
فَوَاصِلِي السَّعْيَ فِي لمِّ الشَّتَاتِ علَى
تِلْكَ الخَوَالِدِ فَهْيَ المُرْتَقَى النَّجَفُ
وَاسْتَلْهِمِي من قُوَانَا . من مَوَاهِبِنَا
تَوْقًا عن الرُّشْدِ دَوْمًا ليس يَنْعَطِفُ
فَإنَّنَا القُوَّةُ العُظْمَى بِوَحْدَتِنَا
وَإنَّنَا العِزّ لا يُغْرِي بِهِ الهَرَفُ
وَ إنَّنَا قَدْ أرَدْنَا أنْ نُخَلِّدَهُ
مَجْدا عَلَيْه ـ اعتِزَازا ـ تُرْفَعُ الشُّرُفُ

الهاشمي زين العابدين

18 مـارس 1980

(*) أعدت هذه القصيدة بمناسبة الاحتفال بمرور 35 سنة على تأسيس الجامعة العربية .

خواطر حول الثقافة والأدب

بقلم : محمد قنبط

الثقافة من مادة « ثقف » وفيها معنى الحذق والاحاطة والخبـرة والفطنـة ويقول ابن السكيت « رجل ثقف لقف » إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به « ومن مضامين المادة الظفر فيقال « ثقف الرجل أى ظفر به » وفى القـرآن العزيـز « **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** » ومن المادة ايضا « الثقاف » وهى حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج . وقـال ابو حنيفـة : « الثقاف خشبة قوية قدر الذراع في طرفها خرق يتسع للقوس وتدخل فيه على شحوبتها ويغمز منها حيث يبتغى أن يغمز حتى تصير الى ما يراد منها » . ومما سبق نستنتج أن مادة « ثقف » تحتوى أيضا على معنى التقويم ومعنى تحويل الشيء أو المرء الى ما يراد منـه .

فكـل هذه المعـانى التى أوردهـا ابن منظـور فى لسـان العـرب تثبـت أن فى الثقافة والتثقيف معنى التكوين الهـادف أو التسوية الهـادفة ومعنى الطموح الى بلوغ ما يراد من الشيء اذا كان قوسا أو رمحـا أو سيفا وبلـوغ ما يراد من المرء من حذق وفطنة وخبرة واطلاع ليدرك الهدف المنشود وما هدف الانسان إلا يناعته وتفتق عبقريته وتحقيق مكموناته الذاتية ليصلح فى الأرض.

وما من شـك أن هذه المعـانى نفسها نجدها فى لفظـة : (Culture) الفرنسية وفى ما شابها من لغات أوربية أخـرى كالايطـالية والانجليـزية : وفى اللفظة معنى الفلاحة : فالانسان فى هذه الرؤية كأرض تستوجب عناية من حراثة وتدمين وسقى وتطهير مما فسد من الاعشاب وتهوئة إلى غير ذلك من الأعمال التى تستهدف تمكين الأرض من استكمال قواها وتوفير ما يستوجبه المغروس فيها ليستغلظ ويستوى على سوقه ويثمر فيعجب الغارس ويفيد منه النـاس .

فالثقافة زراعة أو فلاحة حقلها الانسان فهى فلاحة الانسان تعمل الى الوصول به الى اليناعة والفلاح لصالح الفرد ولصالـح المجموعة حلقـات متتالية مطردة

الاتساع من العائلة الضيقة الى البشرية قاطبة من البيت الصغير الى كامل المعمورة ذلك أن ثمار الثقافة مشاعة تتجاوز فوائدها حدود الوطن والأقاليم ولا توقفها حدود القارة ولا يستأثر بها عصر ولا جيل ، تلك هى الثقافة الحق وليست تلك التى قد يرتديها بعضهم زينة يتباهون بها فى المناسبات الحافلة لدى الخاصة والعامة بل هى عمل دائب وايمان بجدوى ذلك العمل الدائب وهى عمل هادف فهى الايمان بالانسان وبامكاناته الكامنة تترقب عملا وغذاء لتبرز كما تبرز النبتة من بطن الأرض وكما يبرز الطائر الصغير من البيضة وكما تتحرر الفراشة من الشرنقة ما أن توفرت الظروف الملائمة من رطوبة وحرارة وماء وأسمدة وغيرها من أشكال العناية والتثقيف .

الثقافة نضال ميدانه الانسان لتحقيق مردود الانسان للانسان فبالثقافة الحق يتجاوز الانسانمستوىالاستهلاك أو ما يسمونه بالاقتصاد التخريبىنحو مستوى الانتاج حيث يثمر ويستفيد المجتمع بثماره وبالثقافة نساهم فى صناعة«اليوم»فى سبك الحاضر وبها نتمكن من تصور الغد والتخطيط له حتى نطمئن عليه ونطمئن له فالمسرح والفنون التشكيلية والدراسات على مختلف مستواياتها ومهما تعددت ميادينها والأدب كلها أشكال ثقافية تسخر لصالح الانسان ليكون إنسانا ينعم بانسانيته بعيدا عن الخوف خوف المجهول خوف القوات المعادية خوف الظلام وما يندس فى الظلام بعيدا عن الذل والهوان بعيدا عن التعصب الأعمى ذلك الذى يجعل الانسان ذئبا يفترس أخاه الانسان ونفسه راضية مطمئنة وكثيرا ما يفترس الانسان الانسان تحت راية الحقيقة وما أروع كلمة الحقيقة بمعنى الروعة وبمعنى الروع بمعنى الجمال وبمعنى الرعب فكأنها الجمال الفتاك وكأنها الروعة المريعة أما الثقافة الحق فهى الواقع المحاط به وهى وقوف المرء عند حدوده مع إدراك لامكاناته وهى التواضع والايمان وقدرة على التجدد .

ولاشك أن الأدب من أهم القطاعات الثقافية أو قل : إنه غذاء يقبل عليه الانسان من ورائه يسعى الى إدراك انسانيته ليتحقق كانسان . لم يتفق الباحثون حول مشكلة أصل اللفظة على أن لسان العرب لابن منظور يوحى بأنها فى الأصل تعنى الدعوة وتكون تلك الدعوة إلى طعام صنع أو لعرس وتكون الدعوة إلى طريقة فى العيش أو الى اسلوب فى الحياة أو إلى مبادىء أخلاقية تربوية تكون دينية وتكون مدنية تخص الفرد كفرد وتخص الفرد فى المجموعة وتخص المجموعة كمجموعة وتخص المجموعة ومواقفها إزاء الفرد . والملاحظ أنها مهما تعددت جوانبها أو قل : مهما تعددت أبعادها وتعددت جبهاتها فهى تتجه دائما إلى الانسان فردا ومجتمعا . إن المعانى التى وردت فى لسان العرب لمادة

« أدب » أقرها الباحث الفرنسي داود كوهين David Cohen في « معجم الأصول السامية » الذى يسهر على تأليفه منذ سنوات عديدة وقد صدر منه جزءان الجزء الأول خاص بالأصول التى فاؤها ألف ويحتوى الجزء الثانى على الأصول التى فاؤها باء .

وفيما يتعلق بمادة « أدب » يشير داود كوهين الى تواجدها فى اللسان الكنعاني واللسان اليمنى القديم وكذلك فى اللسان الحبشى ويرجع أن فى مادة « دأب » نجد فى الواقع مادة « أدب » مع قلب داخل الهيكل الحرفى والقلب من هذا النوع مالوف فى اللغات السامية وكذلك فى صلب اللغة الواحدة .

ولا يفوتنى أن أشير الى ما كتبه المؤرخ العراقى طه باقر فى تقديمه إلى ملحمة جلجامش حيث قال : « جاءت قصائد شعرية تتصدرها الكلمة السومرية (أدب) المضاهية للكلمة العربية (أدب) على أنه لا يمكننا البت فى العلاقة الاشتقاقية ما بين الكلمتين » .. وذكر طه باقر كذلك أن « عنوان أدب المفاخرة أو المناظرة فى السومرية : « أدمن دك كا » وهى عبارة طريفة تتألف من العلامة المسمارية التى تكتب بها كلمة رجل مكررة ورأس إحداهما يلامس رأس الأخرى ومن العلامة « د ك » التى تعنى تكلم أو قال » فهل كلمة أدب وجدت في لغات وادى الرافدين ؟ لا نستطيع البت فى ذلك لعدم اختصاصنا فى هذه اللغات وكم العرب فى حاجة إلى معرفة هذه اللغات !؟

ولقد حاولت بدورى معالجة هذه القضية اللغوية وسرعان ما تبين فى أنها ذات أبعاد كبيرة متشعبة خطيرة ولا يمكن البت فيها الا بعد تحقيق ضاف يلاحق الكلمة ومشتقاتها فى مختلف مجالات اللغة العربية بل ومجالات اللغات السامية العديدة المختلفة الشفوية منها والمكتوبة فاذا أخذنا قطاع اللغة العربية توجبت ملاحقة كلمة « أدب » ومشتقاتها وكل ما قد ينتسب اليها فى الشعر الجاهلى وفى القرآن والحديث النبوى وفى كل منتوج اللغة العربية فبعد ذلك التحقيق أى جمع المواد والشهادات المختلفة المصدر والزمن يمكن النظر فيها والخروج بنتيجة يعسر تقييمها مسبقا لاشك أن بحثا من هذا القبيل جدير بالعناية على أنه يتطلب وقتا وجهدا قد يتوفران عند الذى يروم تقديم أطروحة أو عند الذى أوقف عمله على الدراسات الأدبية اللغوية الدسمة المفيدة والدسامة الحقيقية لا تعوق الاستيعاب ولا تزعج المقبلين عليها .

القضية تستوجب إذا عناء وصبرا وتستوجب الاختصاص مع توفر الوقت ولعلى أحجمت عن ذلك العمل لعدم توفر بعض هذه الشروط لدى ، على أن ذلك،

لم يصدنى على تقديم افتراض جسور قد يبدو كنسيج العنكبوت جميل التركيب والتنسيق هش الكيان لا يستطيع الصمود ، فمعذرة إن تجاسرت على تقديمه لأن أملا يحدونى لوجود ما قد يدعمه ويفرضه كحقيقة لغوية ثابتة .

يعتمد هذا الافتراض على أساس ذى بعدين بعد حضارى أو قل انثروبولوجى وبعد لغوى بحت . انطلقت من واقع الأدب وأهدافه وما من شك أن الأدب يستهدف الانسان كفرد وكمجتمعات فهو من الانسان وإلى الانسان أمله أن يكون الانسان قادرا على استكمال انسانيته وتعويض ما قد تلتهمه الحياة اليومية من انسانية الانسان فالأدب آدمى بجبلته وآدم مثله الأعلى ، وذلك هو البعد الحضارى أو الانثروبولوجى .

اما البعد اللغوى البحث فلقد لمسته فى القرابة الهيكلية والصوتية بين « أدب » و « ادم » مع العلم أن كثيرا ما تتحول الباء ميما والميم باء والأمثلة فى ذلك عديدة أذكر بعضها ففى القرآن : مكة وردت بكة .

وقبل أن يشيع اسم مجردة كان اسم النهر بجردة وما الحلمة فى ثدى المرأة إلا اسم مشتق من مادة « حلب » الى غير ذلك من الأمثلة وليست هذه الظاهرة الصوتية من خصائص لغة العرب بل نجدها فى لغات أخرى سامية كانت او هندية أوربية كاليونانية .

وعلى ضوء ما سبق جعلت افتراضا لا غير أن « أدب » تعنى الانسان وجعلت من أدب مادة تعود الى « أدم » مع تحول الميم باء لكننى لا اقدم ذلك حقيقة ثابتة ولا يخفى على ما يستوجبه الأفتراض من وسائل التدعيم ومهما يكن من أمر فالقضية تبقى مفتوحة ويبقى باب الاجتهاد مفتوحا . ولكن ماذا عن الأدب التونسى المعاصر ؟ لا شك أنه يعالج قضايا الانسان قضايا الآدم التونسى » وفيه تيارات عديدة يستشفها القارىء فى مختلف أشكاله كالقصة والشعر والرواية والدراسة على اختلاف أنواعها . وكثيرا ما يدور الحوار بين الأدباء حول حاضر هذا الأدب التونسى ومصيره ومسؤوليته تجاه الفرد وتجاه المجتمع ويدور الحوار حول الطريق الدافعة إلى الفلاح : فهل هى فى معاصرة التيارات والأهواء الأجنبية التى تأتينا وتثرينا عن طريق الحرف والصورة ؟ وكثيرا ما تستمع لبعضهم يقولون إن هذه القصة او الرواية لا تتماشى مع التيارات المحبوبة في الأقطار الأوربية لدى كبار الأدباء فى فرنسا أو فى الولايات المتحدة

فهل فلاح الأدب التونسي في معاصرة تلك التيارات وتبنيها وفرضها على المجتمع وهل هو في اشكال وتقنيات ومنهجيات أقرهـا أخرون يعيشـون في مجتمعات أفرزتهم وساهموا في نحت ملامحها ؟ هل الفلاح والفاعلية في معاصرة الآخرين دون ما اعتبار للظروف والملابسات التي أفرزت تلك الأشكال وفرضت تلك التقنيات وحببت تلك المنهجيات ؟ لا أعتقد ذلك ! أقولها بتواضع وإيمان

إن المعاصرة والفلاح والفاعلية ليست في رأيي أن يقال في أديب : إنه يعاصر تيارات الأدب الحديث في العالم متشبعا بأشكال العالم المتقدم وأغراضه وتقنياته الأدبية بل أن يقال فيه : إنه يعيش المشاكل التي يعانيها المجتمع الـذي ينتمي إليه مع اعتبار كل المعطيات الداخلية والخارجية مـع اعتبار العناصر المولودة في الداخل ومن الداخل أي تلك التي تكون نتيجة تطور داخلي ذاتي واعتبـار العناصر التي ترد على المجتمع التونسي بـرا وبحـرا وجـوا بالحرف والصورة والبضـاعة .

يعالج الأدب التونسي اليوم بعض القضايا المصيرية بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع بين التوق نحو عالم الآلهة والجاذبية التي تشده أو تهوى به إلى عالم الشياطين وتجعله من « المساقط الدنيئة » حسب تعبير أبي حيان التوحيدي . فالقصة والقصيدة والرواية مـا انفكت تتناول بعض القضايا الأزليـة كالحب والحرية والعبودية والجمال والقبح والخير والشر والحياة والموت لكن الأدب التونسي مازال بعيدا عن العديد من ساحات المعركة اليومية ومنها المصنع ومنها الورشة ومنها المتجر ومنها المكتب وفيها العامل وصاحب المصنع والرئيس المدير العام وصاحب البنك والذين يعملون في البنك من رجال ونساء ومـا تحتـوى طينتهم عليه من مطامع وآمال عريضة وقنوط ، فعلى الأدب أن يعيش « معـركة التنمية » أن يصورها لنا تصويرا من العمق فماذا عن العامل في الورشة وماذا عن الطالب في جامعة فتية تتخبط بين الطموح وتواضع الامكانات المتوفرة في المحيط الجامعي والاجتماعي وماذا عن لقاء المرأة بالرجل في كل مواطن العمل والتكوين والينـاعـة ؟

تحـررت المـرأة وأصبحت تشارك الرجـل مختلـف ثنايـا الحيـاة ويعيش المجتمع التونسي تطورا في ظـاهره وفي باطنه لقد تغير وجـه المدينة بالبيت الجميل والطريق المعبدة المستقيمة وبعمارات لا تستجيـب للتقاليـد وبنايات فوضوية متحدية كل تخطيط والأكواخ تنتصب وكأنها الثآليـل في وجه جميل : الجمال والقبح يلتقيان ، الثراء والفقر يلتقيان ، فماذا عن هذا اللقاء

الرهيب ؟ تلك فى رأيى بعض مصادر الالهام والوحى . وما الأدب الا وحى يوحى به الواقع الذى يعيشه الأديب فى مجتمعه متجانسا معه كما يكون التجانس بين المتحابين .

واذا تمكن الأديب من ذلك الزواج الروحى وأفلح فى وعى مجتمعه وواكب قضاياه وتسلل فى ثناياه المتشعبة تمكن من الاسهام فى كسب معركة اللغة وليست من أيسر المعارك . يقول الذين يضعون الكتب المدرسية للأطفال وتلاميذ المعاهد : إنهم لا يجدون فى الأدب التونسى ما يساعد على معرفة المحيط كما نعيشه اليوم بقطع النظر عن بعض الألواح التقليدية وعادات تتوارى وتنقرض وإن وجدت بعض المؤلفات أو قل : إن طرقت بعض المؤلفات بعض جوانب المحيط رأيتها واهية لا تتنزل فى صلب المحيط ، ولا تصفه وصفا دقيقا مثيرا. فهل من وصف دقيق للسفينة أو لمصنع تركيب السيارات بسوسة أو لبيت الاستقبال فى احدى الفنادق الرابضة على السواحل التونسية بالحمامات او بسوسة أو بالمنستير أو بالجنوب الشرقى؟أعتقد أنه لا بد من ولوج هذه العوالم إذا أراد الأدب التفاعل مع المحيط والمجتمع وإن لم يكن ذلك يبقى الأدب فى واد والمجتمع فى واد قد يلتقيان وقد لا يلتقيان مع العلم أن الأدب لا يكون إلا باسهامه فى نحت المجتمع وبتفاعله معه .

ومن الأصالة أن يكون الأديب وليد المجتمع ووالده .

محمد فنطر

الهوامش

(1) لسان العرب تحت مادة ثقف
(2) نفس المرجع تحت مادة أدب
(3) طه باقر ملحمة جلجامش ص 21 ــ 22 .
(4) David Cohen Dictionnaire des Racines Sémitiques ou Attestées dans les Langues Sémitiques Fasc. I Paris Mouton - La Haye 1970 S.S.' db.

باقة وَرْد ...

شعر : يوسف رزوقه

في آخر اللّحضات أستدعي معي * عطرًا يحاصرُني من الأعماقِ
فرأيتُ في رجل « المواقف » نخلةً عربية الأوراقِ والآفاقِ
وأكونُ إذ صافحتهُ بعواطفي غصنًا يحركهُ هوى العشّاقِ
المدحُ ليسَ حقيقتي ، لكنّني في حضرةِ الآباء لستُ بعاقِ

* * *

ماذا أقولُ لكيْ تكُونَ قصيدتي خلوا من التّلفيقِ والإغراقِ
الكاتبُ العربيّ امسى لا يرى غيرَ الجفاف وسبخةَ الاخلاقِ
يتزوّجُ الكلماتِ وهو مقيَّدٌ فيموتُ محرومًا من الافاقِ
في حينِ محترفُ الرياضية يرتمي بين الورود وحزْمة الأوراق
وإذا الرؤوسُ تدحرجتْ وتكورت وتكدرتْ في غمرة الأشواق
صارتْ حذاءً لامعًا أو رُبما كرةً تساقُ بقذفةٍ من ساقِ

* * *

هل باتَ محترفُ الرّياضة فارسًا يسمو بساقيهِ على الأعناقِ
والكاتبُ الخلاّق شيءٌ ثانويً ليس معتبّرا على الإطلاق
هل يرسمُ الوطنَ الجميلَ وجيلهُ لايحتفي بالكاتبِ الخلاّقِ ؟
هل ينزوي ، أم ينتهي مُتَمَوْمِسًا قد فارقتْه مكارمُ الأخلاقِ
لا يملكُ الشّعراءُ إلاّ أن يروا ويلغّمُوا النظراتِ بالاشفاق !

(*) أعدت هذه القصيدة للاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على تأسيس مجلة « الفكر » .

إعجاز القرآن يظهر في العقل الإلكتروني

بقلم : د. رشاد خليفه
تعريب : توفيق بن سلمونه

هذا بحث علمى قام به الدكتور رشاد خليفة وهو من أصل مصرى متخصص فى الكيمياء العضوية وهو يعمل فى الولايات المتضدة الامريكيـة ، والدكتـور مكلف بالبحث عن كيفية استخراج البروتين من البترول الخام .

قدم الدكتور بحثا بعنوان :
((Miracle of the Quran : Significance of the mysterious words))
(معجزة القرآن : دلالة الأحرف الغامضة) .

نشر هذا البحث فى الولايات المتحدة الأمريكية وقـد قام الدكتور رشـاد خليفة بتسجيل النتائج الأولية فى أبحاثه فى مكتبة الكونجرس (Congress) الأمريكية فى عام 1972 .

على أن هذا البحث لم يكن مدعما بآيات بل اكتفى الدكتور بمجرد الاشارة اليها مقتصرا على ذكر أرقامها فى السور.فعملت على ضبطها كى يتسنى للجميع التثبت منها دون الرجوع الى الكتاب الحكيم ، مع العلم أنى أردت هذه الترجمة أن تكون أقرب الى الحرفية منها الى الترجمة الجملية .

ـ المتـرجـم ـ

بسم الله الرحمان الرحيم ـ الحمد لله والصلاة والسلام علـى سيدنـا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بعث الله تعالى برسله عبر العصور كى يهدوا البشرية الى الطريق السوى ويبلغوا كلمة الله تعالى المتمثلة فـى الكتب السماوية وكانت هذه الرسالات مصحوبة بمعجزات الاهية تبين أن ما بعث لهم كان أمرا من اللـه . فجاء موسى عليـه السلام الذى ذهب الـى فرعون وأظهر من معجزاته تحويـل العصـا الى حية تسعى ، وجـاء عيسى عليـه السلام ومن معجزاته احياء الموتى ورد البصر لمن فقده .

ولقد كانت هذه المعجزات قبل وصول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تتسم بالحصر في الزمان والمكان أى أنه لم يكن يتسنى لغير الحاضرين في زمان ومكان معينين مشاهدة هذه المعجزات ومعنى هذا أنه لا أحد منا مثلا شاهد موسى عليه السلام عندما رمى بعصاه فحولت الى حية تسعى ولا أحد شاهد عيسى يصنع طائرا من الطين ثم ينفخ فيه فيصير حيا بأمر من الله .

وحيث أن محمدا صلعم هو آخر الأنبياء وخاتم الرسل « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما** ». (سورة الأحزاب آية 40) فمن المعقول أن تكون هذه المعجزات المصاحبة لرسالته خالدة ودائمة كي يتسنى لكل الأجيال مشاهدتها ومن المعقول أيضا أن تكون هذه الرسالة والمعجزة المصاحبة لها محفوظة حفظا تاما يحول دون أى تحريف في النص « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » (سورة الاسراء ـ آية 88) .

ما هى معجزة محمد صلعم ؟ ان الرسالة الالاهية التى أتى بها محمد ألا وهى القرآن تعلمنا أن المعجزة المصاحبة لهذه الرسالة هى القرآن نفسه « **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ، وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين** » (سورة العنكبوت ـ آيات 49 و 50) ان الأحداث التاريخية المتعاقبة طوال أربعة عشر قرنا تثبت لنا جليا هذه الحقيقة الالاهية ، حيث أن كل جيل انسانى منذ ظهور محمد صلعم عاين هذه المعجزات فى القرآن المقدس . ولقد فوجىء وبهت أول جيل بعد ظهور الاسلام فى الجزيرة العربية رغم ما عرف به من لباقة فى الشعر والنثر بحسن الأدب واللغة فى القرآن الذى جاء على طريق رجل أمى . وشاهدت الأجيال المتتالية أيضا تكاثر معجزات القرآن فكلما تم اكتشاف شىء جديد أو رفع القناع عن شىء مجهول فى هذا العالم الا ووجد دارسو القرآن ما يشير الى ذلك فى الكتاب المقدس ، مثلا : عندما اكتشف العلماء أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس واندهش الناس لذلك وجد الدارسون أن القرآن يشير الى هذه الاكتشافات « **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء** » (النمل آية 88) وعندما اكتشف العلماء أن هيكل الأرض كروي ، بين الدارسون أن القرآن نص على هذا الاكتشاف فى

سورة الزمر (آية 5) « **خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** » . وكلمات هذه الآية تؤكد أن دوران الليل والنهار والليل لا يكون الا اذا ما كانت الأرض مستديرة . ونجد فى نفس السورة (آية 24) « **أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون** » ان أمر الله بانتهاء العالم سيكون اما فى الليل أو فى النهار ونعلم ان الله يعرف طبعا موعد انتهاء الحياة فى هذا العالم بالضبط ، أكان ذلك فى الليل أم فى النهار ؟ لكن المعلوم أيضا أن هذه الأرض نصفها فى الليل ونصفها فى النهار وذلك تبعا لهيكلها الكروى واعتبارا لأن الشمس موجودة من جانب واحد تجاه الأرض ، لذا نجد الآية التى تقول بأن الدنيا ستنتهى اما فى الليل أو فى النهار ، لكن الناس لم يعرفوا أن الآرض منقسمة الى نصفين عندما نزل القرآن .

جيل آخر عاين معجزة من المعجزات القرآنية عندما اكتشف العلماء ان الشمس منبع للنور وان القمر ليس الا عاكسا لأشعة الشمس والقرآن بين هذا فى عدة آيات « **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا** » (سورة يونس (آية 5) « **تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمر منيرا** » (الفرقان آية 61) « **وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا** » (نوح آية 16) ونرى الاشارة فى هذه الآيات خاصة فى كامتى السراج عندما يعبر عن الشمس والنور عندما يعبر عن القمر . مثل آخر هو النص القرآنى فى سورة الأنعام آية 125 الذى يقول « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** » . وهذا المثل يؤكد لنا اكتشافا علميا يقول بأن الهواء الموجود فى المرتفعات أقل كثافة من الهواء العادى وأن الانسان يجد صعوبة فى التنفس عندما يصعد الى المرتفعات ..

ولئن خصصنا عدة مجلدات لوصف المعجزات الموصوفة فى القرآن والتى تم اكتشافها لما كفانا ذلك ـ لكن بحثنا هذا يهتم بالمعجزات القرآنية التى تأكدت فى عصرنا الحاضر وبتصوير أزلية المعجزة الالهية المرافقة للرسالة المحمدية وسوف يعاين القارىء اذن المعجزة الأبدية لمحمد صلعم وبصورة محسوسة كما شاهد فرعون والسحرة والاسرائيليون معجزات موسى عليه السلام وكما شاهد الحواريون سيدنا عيسى يحى الموتى ـ سوف يلمس القراء هذه المعجزات التى لا نهاية لها وذلك بفضل

استعمالنا لوسائل علمية عصرية وخاصة منها الرياضيات ، سنظهر أن القرآن معجزة الله وأن القرآن لن يكتب مثله انسان وأنه أيضا حفظ طوال هاته القرون ولم يطرأ عليه أى تغيير وسيظهر أنه مثلما هو الأمر لمعجزة محمد فان كل المعجزات التى سبقتها هى من صنع الله وحده وقد بعثت عن طريق رسله . مفتاح معجزة محمد يظهر فى أول آية فى القرآن « **بسم الله الرحمان الرحيم** » هو أول ما يفتتح به قراءة القرآن مبينا أن الكتاب كلام الله .

عندما نعد الأحرف التى تكون أول آية قرآنية نجد عددها 19 وهذا أمر مادى ، ووجودنا أيضا أن كلمات هاته الآية معادة كل على حدة عدة مرات فى القرآن الحكيم وعددها يكون دائما ضاربا لعدد 19 فأول كلمة : « **اسم** » موجودة 19 مرة أما كلمة الله فهى موجودة 2698 مرة أى (19 × 142) ــ كلمة **الرحمان** موجودة 57 مرة أى (19 × 3) . وآخر كلمة فى الآية وهى **الرحيم** موجودة 114 مرة أى (19 × 6) . وتجب الملاحظة أيضا أن **القرآن** يتركب من 114 سورة وهذا أيضا ضارب 19 أى (19 × 6) .

لنزيل الشك فى صحة هذه الأعداد نشير الى أنها سجلت فى عدة كتب فى الماضى . ولقد أحصى عدة علماء عبر الأربعة عشر قرنا الماضية عدد كلمات القرآن وسجلوا ما وجدوه فى عدة كتب واحدها هو الكتاب « فهرس كلمات القرآن الكريم » لمحمد فؤاد عبد الباقى (نشر دار أحياء التراث العربى ــ لبنان) كل الأعداد المذكورة فى هذا البحث رغم أنها أحصيت بالعقل الالكترونى توجد فى كتب نشرت من قبل ، ولقد صحح استعمال العقل الالكترونى بعض الأخطاء . ولنأخذ مثلا عدد الكلمات لاسم الله المتواردة فى القرآن فنتيجة هذا الاحصاء بالعقل الالكترونى هى 2698 وهو ضارب 19 وعندما تأكدنا من هذا العدد فى الكتاب المذكور أعلاه وجدناه يعادل 2697 وبعد التثبت وجدنا أن الكتاب هو الذى خلف كلمة **(الله)** مرة واحدة مما جعل المجموع لا يقسم على عدد 19 وهذا دليل على أن القرآن كامل وأن الخطأ لا يكون الا بشريا .

نؤكد مرة أخرى أن هذا البحث فى آخر رسالة الاهية المعتمد فيه على العقل الالكترونى لا يهتم الا بالأمور المادية المحسوسة ولا يدخل فيه تكهن ولا تأويل ولذا فانه من الطبيعى والملموس أن يعترف كل انسان أن أول آية تتألف من 19 حرفا . وان كل كلمة من كلمات هذه الآية معادة عددا من المرات يكون مجموعه دائما ضاربا لـ 19 وما علينا إلا أن نلاحظ أن

معاينة ما قلنا لا تستوجب معرفة اللغة العربية وهذا دليل أيضا على أن القرآن لم ينزل لمتكلمى اللغة العربية فحسب ولكنه وجه لجميع الناس ، ما هى نتيجة هذه الملاحظات ؟ وما هى التفسيرات التى يمكن لنا أن نستنتجها ؟

1 ـ أول تأويل هو أن هذا الحدث أتى بصورة عفوية ، لكن هذا التأويل يرفض من أوله اذ أنه معلوم أن الشيء العفوى لا يمكن أن يحدث أكثر من مرتين أو ثلاثة فى علم الاحصاء ولكننا نرى أن هذا الحدث تكرر أربع مرات وأكثر . وهذا يعنى أننا اذا ما أخذنا أى كتاب وأحصينا عدد الحروف التى تكون أول جملة فيه فانه بامكاننا أن نجد كلمة تعاد كم مرة فى الكتاب يعادل عددها عدد الحروف الموجودة فى الجملة الأولى . الامكانية موجودة لكنه من غير المنتظر وجود كلمتين فى الكتاب تخضعان لنفس الاحصائية ، أما وجود ثلاث كلمات فى الكتاب تعاد كم مرة حسب عملية حسابية معروفة هو من المستحيلات ولهذا فاعتبار وجود 114 سورة فى القرآن (وهذا العدد ضارب 19) من الأمور العفوية اعتبار مرفوض .

2 ـ ثانى التفاسير هو أن محمدا صلعم نظم وكتب القرآن معتمدا على هذا النمط الحسابى المدقق ، وهذا طبعا هو ما يفتريه غير المسلمين اذ أنهم اذا ما اعتبروا أن القرآن رسالة من الله من كل الناس لما أسلموا . وطبيعة هذا الافتراء هو أن رجلا أميا عاش فى القرن السابع فى فترة غابرة ولم يملك أى معرفة رياضية متقدمة قال لنفسه : « سأكتب كتابا كبيرا وستكون أول جملة فيه من 19 حرفا وستعاد كل كلمة من هذه الجملة عددا من المرات يكون دائما ضاربا للعدد 19 » وبدأ الكتابة معتمدا على هذا المبدأ الرياضى وذلك طوال 23 سنة مع العلم أن الآيات متفرقة فى الزمان والمكان يمكن لنا أن نرى كم هى غير معقولة الخاتمة التى سيخرج بها هؤلاء المفترون . لكن البعض يؤكد أن محمدا صلعم هو الذى كتب القرآن وخططه ولهؤلاء نقول : اذا ما كتب محمد صلعم القرآن فلماذا لم يستغل ثمار ما كتب ولماذا لم يتباه بنفسه فى عصره بين معاصريه ولم يفاخر بما كتب ؟ نقول أيضا : إننا لم نر أى كتاب فى التاريخ كتب حسب نظام عددى كهذا لماذا لم يتباه النبى بين رفقائه ؟ لم نعثر على هذه الأمور قبل جوان 1976 .

3 ـ ثالث التفاسير وهى الامكانية الوحيدة التى بقيت : قوة لا انسانية كتبت وصممت القرآن الكريم بما فيه من قانون رياضى . ويظهر لنا من هذه القطعة الصغيرة من المعجزة تأكيد لكل مسلم أن القرآن تنزيل من

العلـى القدير . ومن السهل أن يفهم القارىء ممـا قدمناه رغم ما فيـه من الشهادة والبراهين الثابتة أن ما قدم ليس الا النزر اليسير من الكثيـر ، ليس الا القليل من الخطـة الحسابية الكاملة فى القـرآن . ان الكشف عن هذه الخطة الحسابية بطريقة العقل الالكترونى تظهـر أن كلمات القـرآن وحتى حروفه موضوعة حسـب خطة متشبعـة ومحكمـة تفـوق مقـدرة أى انسان وهذا مؤكد بآيات حكيمة فى سورة « هود » (آيـة : ١) « **الركتـاب أحكمت آياته ثم فصلت مـن لدن حكيم خبيـر** » وفى سـورة « الاسـراء » (آية 88) « **قل لئن اجتمعت الانس والجن علـى أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » . تبين لنا هذه الاستنتاجـات أن القرآن كلام اللـه وأنـه لم يحـرر ولم يغير ولـم يزد فيه ولـم ينقص . واننا كلما نقرأ « **قل هو الله أحد** » نعلم أن كلمة الله فى هذه الآية محسوبة وموضوعة فى مكان معين وهى واحدة من 2698 كلمة **الله** الموجـودة بالقـرآن وعندما نواصل قراءة السورة بقوله تعالى: « **الله الصمد** » فان كلمة الله هنا أيضا معدودة ومرسومة . من كل هذا نستنتج استنتاجين :

اولا : القرآن رسالة الله للبشرية جمعاء .

ثانيـا : القرآن حفظ ولم يقع فيه أى تحريف وهو كلام الله الأزلى وهذا طبيعى اذ وعد الله بحفظ كتابه العزيز فى سورة « الحجر » (آية ٩) « **انا نحن نزلنا الذكرى وانا له لحافظون** » .

هل للعدد ١٩ معنى مدقق فى القرآن حسب ذكر معين ؟ نعم ، عدد ١٩ ذكر فى القرآن فى سورة « المدثر » وقد ذكر مع من يدعى أن القرآن صنع الانسان وتقول الآيات (١١ الى ٣٠) فى هذه السورة « **ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت لـه تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كـلا انه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه صعودا ، انه فكر وقدر، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر ، سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر** » . فـى هـذه الآيـات البينات نرى أن من يدعى أن القرآن رسالة غير إلاهية سيعاقب تحت عـدد ١٩ ومن يرفض ان القرآن كلام الله يجب أن يحاكم تحت عدد ١٩ .

من الامكان أن يظهر تأويـل عدد ١٩ من أول وهلة غير ثابت وذلك تبعـا للتأويلات السابقة التى تقول : إن عدد حراس جهنم ١٩ لكن الصلة بين عدد ١٩

والصفة الالاهية للقرآن لم تعرف البتة فى الماضى . يوصلنا التحقيق الجيد فى الآيات 11 الى 37 من سورة « المدثر » الى أن العدد المذكور يتصل بعدد الحروف التسعة عشر المكونة لآية « **بسم الله الرحمان الرحيم** » ولهذا ولئن تتبعنا فترات نزول القرآن لرأينا أن أول وحى نزلت فيه الآيات الأولى من سورة « العلق » (عدد 96) التى هى السورة رقم 19 بداية من آخر الكتاب (القرآن) وهى أيضا تتألف من 19 آية . وعندما نزل جبريل عليه السلام فى المرة الثانية أتى ببعض الآيات من سورة « القلم » وفى زيارته الثالثة أتى ببعض الآيات من سورة المزمل وفى المرة الرابعة أتى ببعض الآيات من سورة « المدثر » حتى الاية عدد 30 التى تنص على عدد « تسعة عشر » وبعد هذا العدد مباشرة أتت الحروف التسعة عشر وهى « **بسم الله الرحمان الرحيم** » . وباتفاق كل علماء الاسلام ، نعرف أن جبريل عليه السلام أوصل أول سورة كاملة الى سيدنا محمد صلعم وهى الفاتحة التى تبدأ بالطبع بالآية المذكورة . لذا يظهر من المعقول اذن ان العدد 19 الذى أجبر على الذين يقولون بان القرآن من صنع الانسان ، يتصل بالحروف التسعة عشر لأول آية قرآنية وهذه الخاتمة بديهية وذلك تبعا للخاصيات الاعجازية المتصلة بالحروف الـ 19 لأول آية فى الكتاب . رغم أن هذا القانون الرياضى فى أول آية قرآنية يمدنا بالدليل الواضح على أن القرآن لن يكتب مثله انسان وان القرآن هو رسالة الله للبشرية جمعاء وأنه حفظ حفظا تاما فالله عز وجل أراد أن تكون هذه الأدلة على الأقل قاطعة . ولهذا وكما قلنا من قبل ، هذه الأدلة ليست الا اليسير من الكثير . وأكبر قسط من هذه الأدلة المادية الملموسة موجود فى الحروف الغامضة التى تدخل فى تركيب فواتح السور .

ـ للبحث صلة ـ

كَسْبُ الرِّهَانِ حَضَارَةٌ ..

شعر : الصّادق شرف
(أبو وجدان)

مهداة الى الاستاذ : محمد مزالى فى يوم تعيينه من لدن رئيس الجمهورية وزيرا اول وأمينا عاما للحزب . مع أجمل التهانى وخالص الحب .

لِمَنِ التّهاني ياتُرى أشدُو بها ؟
لأعزّ أحبابي جَميعا ، أمْ تُرى لِبلادِي ؟!
بَلْ كيفَ أشدو بالتّهاني ..؟
ها أنا خَفقاتُ قلبي غِبْطةً غلبتْ على إنْشادِي ..
أنا ليسَ لي شَدْوٌ على شفةٍ .. ولكنْ لي قصيدٌ في عميقِ فُؤادي ..
مَا لَمْ أقلْه قصيدةٌ أخرى ،
أنا إنْ أقتَصِدْ ، فَلِكَيْ يَرَوْا أنّ الأديبَ يُجيدُ فَنّ الإقتِصَادِ .
الشّعرُ عُودِي ، والهوَى أوتارُه ،
وَسِوَى فؤَادي لنْ يكونَ الشّادِي ..
في كلّ حرْفٍ خفقةٌ مسكونةٌ بالحُبِّ ،
لولا الحبّ — منْ زَمنٍ — لجَفّ مدادي .
في كلّ حرفٍ ألفُ ودّ دائمٍ ، والشعرُ هَلْ يَحلُو بغَيرِ وِدَادِ !؟
إنّي أسافرُ في القصيدِ ،
وإنّني في لهفةٍ للْودّ — في سَفَرِي — قُبَيْلَ الزّادِ .
حتّى يَظلّ الصّدقُ في سَفَرِي رفيقَ العُمْرِ ،

لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ هَامَ بِالأَضْدَادِ .
سَفَرِي إليكَ يَطُولُ .. وَهْوَ يَطُولُ ..
أصبحَ مَبْدَئِي أَنْ أَعْشَقَ الأَسْفَارَ للأَبْعَادِ .
يا أيُّها البعدُ الذي سَكَنَ الفؤادَ ، وهنْدَسَ الغَايَاتِ مِنْ إيجَادِي ..
تَفِهَ الوُجودُ إذا خَلا مِنْ غَايةٍ ، والخلْوُ مَنْ يَحْيَا بِدُونِ مبادِ .
علّمتني مَبْدَى الحياةِ .. وَلَدتَنِي ،
بالرُّغْمِ مِنْ يأسِي مِنَ الميلادِ .
فإذَا أنَا خَلْقٌ جديدٌ ، رافضٌ دِينَ القناعةِ فِي حُدودِ وهادِي
لا الوَهْدُ شَاقَ عَزِيمتِي ، لا العَزْمُ شَقَّهُ شَاهِقٌ ،
فالصعبُ سَرْجُ جَوَادِي .
إنّي تعلّمتُ الصمودَ مِنَ الذِي ركبَ الصِّعابَ « بفكْرِهِ » الوَقَّادِ .
إنّ السياسةَ عندَهُ مِنْ «سَاسَ» (*) أجْوَفَ .. خيمةٌ ظلتْ بلا أوتَادِ .
حتّى أضافَ لها صحيحا سالما « كَتَبَ » البراعُ بأنْ
يكونَ لِمَرْكَبِ الإقلاعِ خيرَ عِمَادِ :

* * *

الشّعبُ للرجلِ المفكّرِ في احتياجٍ دائمٍ ،
فَوُجُودُهُ أغْنَى عَنِ الجَلادِ .
إنْ تُعْطِنِي شعبا يفكّرُ .. أعطِكَ البشرَ الذي يسمُو عنِ الأحْقَادِ .
إنْ تُعطني شعبا تَعلّمَ .. أعطِكَ الجيلَ المضيفَ لمَا بَنَى أجْدَادي .

(*) انظر مقالا للاستاذ محمد مزالي بعنوان : « بين الثقافة والسياسة » الفكر عدد 7 / س 25 / أفريل 1980 .

إنْ تُعطنيِ شعبا تخلّقَ .. أعطِكَ الرجلَ الذي يهفُو إلى الأمجَــادِ .
إنْ تُعطنيِ شعبا تحرّرَ في اختيارهِ .. سوفَ لنْ يغتَرّ بِـالأفـْـرادِ .
إنْ تُعطنيِ شعبـا يُمـارسُ في السيـاسـةِ حقّـهُ ..
قسَمـا لَذَلكَ ما يُعِزّ بـلادي !
إنْ تُعطنيِ شعبـا إذا ما سَارَ للصندوقِ يَدْخُلُ فيـه ...
دونَ تَدَخّـلِ الأضدَاد ...
قسما بـأنـه صارَ يعرفُ كيف يختارُ . اختيـارُ الكفءِ لمْ يفتأْ دليلَ رَشادِ
إنْ تُعطنيِ جيلا له قلمٌ يجرّدُهُ على الطُّغْيـانِ بـاسم الحقِّ ،
أقْسمُ بالسّيـادة : إنّ ذلك مبـدأ الأسيـادِ .
إنْ تُعطنيِ حزْبا يَخَـافُ على ..
حَمَامـة تـونسَ الخضـراء أنْ تَهَبَ الهديلَ لمسمَعِ الصيّـادِ ...
تَهَبِ السَّمـاعَ إلى الذي بالحبِّ وحّدَنـا ،
ولمْ يَمْنُنْ علينـا ، لاَ عَلى الأحْفَـادِ .
بالحُبّ تَرْبِطُ بين كرسيٍّ القيـادة والذي ...
في السَّفْحِ بـاسمكَ يـا حبيبُ ينـادي ..
فـاذَا تَنَطَّعَ قصْدَ كرْسِيِّ القيادةِ هَامِشٌ منْ حَوْلِـهِ ، انْتَبَـهَ
الـذِي فـِي الـوادِي .
وكـذا التـلاحمُ بينَ رأسٍ رائـدٍ وجميـعِ مَن في الجسمِ بـالأعْضَادِ ..

* * *

يـا عَضَدَ الحبيبِ الأيْمَنَ الميْمُـونَ ،
يـا خلَفـا يـواصـلُ مـا بنـاهُ الهـادي ..
إنّي أرَى كسْبَ الرهـانِ على يـديكَ حَضَـارَةَ ..

كَسْبا لَنَا أهْدَتْكَ أنْتَ بِلادي .
فاسْلَمْ لنَا ، ما قلتُها خوفا ولا غَرَضا ..
ألا أرْجُو السلامةَ للفؤادِ ؟ وأنتَ أنْتَ فؤادي !
إنِّي تَلَقَّيْتُ التهاني جُمْلَةً ،
لو أنَّني فصَّلتها لك أعجزتْ قلمي عَنِ التعْدَادِ :
أنْعَمْتَ رَبِّ فزدْهُ خيرَ زيادةٍ للمخلصين تَنَعُّما ..
لكنّها كمدٌ على الحُسَّادِ :
زِدْهُ عِنَادا في الصّمودِ ، فإنَّهُ المُعْتَادُ إجْهَازا على المعتادِ ::
لولا عنادُه في الصمودِ على المبادى ،
لَمْ يكُنْ مني انتماءٌ للمبادِي ..
أنَا مُنْتَمٍ .. والإنتماءُ يزُجّ بالشعراء في عَدَمِ الحيَادِ ..
مَنْ لا انتماءَ لَهُ — إلى رَجُلِ المبادِى — مُلْحِدٌ ،
تَبّا لمنْ قَدْ ألحَدُوا ، تبَّتْ يَدُ الإلحَادِ !

* * *

رَجُلٌ اذا مَا قيلَ للكُتّابِ ، كيْفَ تَوَحَّدَتْ اقلامكُمْ ؟
قالوا : «لَهُ تَبْقَى على الأقلام بيضُ أيَادِ» :
أقلامُنا إنْ لمْ تَكُنْ بينَ الأناملِ — كالبنادق لا البيادق —
كالبنادقِ للنّضَالِ وخيْرِهِ ، قدْ تُصْبحُ الأقلامُ كالاعوادِ.
أنْظُرْ ... خُذِ الأعوادَ .. خُذْهَا حزْمة ستري ، محالٌ كسرُها..
خُذْهَا مفرّقة أرَى تكْسيرَها يبقى بِلا إجْهَادِ .
كُنّا نَرَى الكُتّابَ فَرْدا وَاحِدا شيَعا ،
وجاءُ «مُحَمَّدٌ» فإذا بها الشيعُ اتحادٌ واحدٌ ..
قَدْ كان في التاريخ ذَلكَ غيرَ عادِي .!

أقسمتُ : إنه ناجحٌ أنْ يرأسَ الوزراءَ منْ قدْ وَحَّدَ الأدُباَ
وَهُمْ شيعٌ ، فكان لهمُ رئيسَ الإتحادِ (*) ..
إنْ كانَ يَحْسِدُنا عليه بعضُهم ،
قُلنا : «ألا يا ويحنَا حتَّى مِنَ الوزراءِ ، لانخلُو مِنَ الحُسَّاد .!»

* * *

يا تونسُ الخَضْراءُ هذا يومُنا ..
يا حَبَّذَا لوْكان للكتَّابِ يومٌ واحدٌ عيدا لنا مِنْ زُمْرَةِ الأعيادِ !
يا أمَّنا إنَّا اشْتَهَيْنَا بُسْرَةً لا غيرَها ،
مُنِّي بها وعيونَنا مفتوحةٌ ،
هلْ ينفعُ العُرْجُونُ بعدَ رُقادِ !؟
يا بُسْرَةً عزَّتْ على قلَمٍ يَعُزُّ عليَّ يوما كَسْرُهُ ..
ولربما كسَّرتُه ..
إنْ صَارَ يوما طامعا في كِسْرَةِ الأوْلادِ .
مَهْلا .. فإنِّي مَازِحٌ ..
أأكَسِّرُ القلمَ الحبيبَ !؟
وَقدْ أتى منْ قَالَ للكتَّابِ :
« سَوْفَ أغيِّرُ الظرفَ الذي ...
لَنْ يَسْتَطِيعَ بأنْ يُغَيِّرَني على أعضَادِي . »

أبو وجدان

80/5/23 – 80/4/23

(*) أنشدت هذه القصيدة فى الحفل التكريمى الذى أقامه اتحاد الكتاب التونسيين على شرف رئيسه الاستاذ محمد مزالى احتفاء بتعيينه وزيرا أول وأمينا عاما للحزب الاشتراكى الدستورى التونسى .

العلامة عبد الحميد بن باديس في تونس

بقلم : محمد صالح الجابري

وفد الشيخ عبد الحميد بن باديس (1) على تونس للدراسة بجامع الزيتونة في سنة 1908 ، وذلك بتحريض من والده محمد المصطفى ، وبتأثير من أستاذه أحمد أبو حمدان الونيسي (2) الذى تلقى عليه دراسته الأولى في اللغة والثقافة والدين بمسقط رأسه قسنطينة .

وكان هذا الأستاذ الصالح قد أخذ عليه عهدا بألا يقرب الوظيفة ولا يرضاها ما عاش (3) ولا يتخذ علمه مطية لها ، كما كان يفعله أمثاله في ذلك الوقت ، وهى المبادىء التى وعاها بن باديس وأخلص لها حتى الرمق الأخير تلبية لهذا العهد الذى قطعه على نفسه في حضرة أبى حمدان الونيسي، والذى أصبح فلسفته التى يحث كل خريجى الزيتونة على ترسم خطاها كلما التقى بهم في مناسبة من المناسبات العديدة .

---

1) عبد الحميد بن باديس (1889 ـ 1940) ولد بقسنطينة شرقى الجزائر ، واصل تعلمه بقسنطينة ثم جامع الزيتونة والأزهر ، يعتبر رائد النهضة الاصلاحية الحديثة بالجزائر ، دافع عن العروبة والاسلام ، وتصدى لمقاومة الاستعمار الفرنسي ، أنشأ في سنة 1931 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كما أنشا عدة صحف ، وتخرجت عليه أجيال من أفاضل العلماء .

2) (1826 ـ 1920) عرف بالصلاح والتقوى وتخرج عليه العديدون ـ هاجر الجزائر للاقامة بالحجاز

3) رابح تركى (ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم) ص 164 .

فقبل وفاته بسنة واحدة أقامت جمعية التربية والتعليم بقسنطينة حفلة تكريم للطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة فى ذلك العام ، دعى بن باديس للاشراف عليها باعتباره رئيس الجمعية . وعندما وقف خطيبا لم ينس أن يذكر هؤلاء الخريجين بفضلهم الوحيد والفريد ، وهو تميزهم على أقرانهم وزملائهم من الأقطار المجاورة الذين درسوا معهم جنبا الى جنب بأنهم يقرؤون العلم للعلم وليس العلم للوظيف كما يفعل غيرهم ، مبصرا اياهم بما تؤمله الأمة فيهم قائلا : « انكم رجعتم الى وطنكم تحملون شهادات علمية ، ومن أجل ذلك كنتم جديرين بهذا التكريم ، ولكن لا تظنوا أنكم ستجدون مصاعب الحياة قد ازيلت من طريقكم ، ويجب أن تعلموا يا ابنائى انكم مقبلون على خوض معركة جديدة من أجل خدمة أمتكم ووطنكم ، بما أحرزتم عليه من علم » . (4) .

وبهذه المناسبة التكريمية كان لا بد من أن يلفت أنظار الطلبة الجزائريين المكرمين الى الظروف الخاصة التى كتبت لهم شرف التعليم من أجل المعرفة ، وهو شرف قلما توفر لغيرهم مقارنا وضعهم هذا بوضع أقرانهم من الخريجين التونسيين قائلا : « واذا كان ابناء الشقيقة تونس يدرسون العلم فى الزيتونة ليصبحوا موظفين فى بلادهم ، فان فضلكم الوحيد هو أنكم تقرؤون العلم للعلم ، وليس للوظيف ، وهو شرف كبير فكونوا عند حسن ظن أمتكم بكم ، كونوا على استعداد لأداء واجبكم نحو وطنكم » . (5)

وفى رحاب جامع الزيتونة أقام بن بادريس أربع سنوات دراسية متواصلة امتدت من سنة 1908 الى سنة 1912 ، حيث حصل فى نهاية السنة الدراسية (1910 – 1911) (6) على شهادة التطويع ، ثم قضى سنة رابعة أخرى بعد

---

(4) على مرحوم (لمحات من حياة الشيخ بن باديس) . الاصالة ، مارس – أفريل 1970 ، ص 106 .

(5) نفس المصدر السابق .

(6) نشرت جريدة (المشير) التونسية فى عددها الصادر فى 6 أوت 1911 اسم الطالب عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس ضمن أسماء الطلبة الزيتونيين الذين نالوا شهادة (التطويع) من الجامع الأعظم فى نهاية السنة الدراسية (1910 – 1911) ، وكان ترتيبه الأول بين جميع الطلبة الناجحين ، كما كان الطالب الجزائرى الوحيد الذى تخرج من الزيتونة فى تلك الدورة . وذلك على خلاف ما ذهب اليه

تخرجه تبعا للتقاليد المتوارثة بين الخريجين ، والقاضية بتطوع الطالب المتخرج حديثا للقيام باعطاء دروس لمدة سنة أو أكثر للصفوف الدنيا ، تمكنه من اكتساب خبرة تربوية وبيداغوجية ، وتتيح له فرصة أداء بعض الواجب نحو معهده .

وخلال هذه السنة الأخيرة التى قضاها بن باديس مدرسا بالجامع وهى السنة الدراسية (1911 ــ 1912) تعمقت صلته بالشيخين التونسيين اللذين نوه بهما مرارا فى خطبه وكتاباته ، واعترف بتأثيرهما عليه ، والاقرار بما لهما من المكانة والفضل فى نفسه ، وهما الشيخان محمد النخلى القيروانى، ومحمد الطاهر بن عاشور .

ويتجلى نبوغ بن باديس فى انه استطاع على غرار الطلبة المتفوقين ، اختصار مراحل الدراسة التى تستلزم قضاء الطالب سبع سنوات حسب البرامج المقررة الى ثلاث سنوات فقط ، اذ أهلته الدروس التى تلقاها على أستاذه الونيسى بقسنطينة للحصول على مستوى السنة الرابعة من التعليم الزيتونى دفعة واحدة ، كما أن الظروف السائدة آنذاك فى الجامع وقيام الطلبة بمعارضة أحد القوانين الصادرة فى تلك الفترة وهو القانون القاضى بوجوب قضاء سبع سنوات فى الدراسة والغاء نظام « الادعاء » أو التجاوز من مرحلة الى أخرى أنقذته من قضاء السنوات السبع المقرر قضاؤها ، وأتاحت له فرصة الاجتياز .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور ، واصفا الحالة التى كان عليها التعليم بالزيتونة فى سنة 1908 أى فى السنة التى وفد فيها بن باديس للدراسة بهذا المعهد : « كان التعليم فى الجامع الأعظم يخضع للامتحان والتحصيل ، ولا يشترط مكوث الطالب مدة سنوات معينة للحصول على « التطويع » الا أنه « صدر مكتوب من نظارة الجامع بتاريخ (1328 هـ /1908 م) بأن لا يقبل طلب تلميذ يرغب امتحان التطويع فى هذا العام الا بعد أن يثبت أنه قضى سبع سنوات من تاريخ تسلمه الدفتر » (7) .

معظم الذين أرخوا لدراسة الشيخ بن باديس ومن بينهم الدكتور تركى رابح الذى ذهب الى أن بن باديس تخرج فى السنة الدراسية (1911 ــ 1912) انظر ص 163 من كتابه (الشيخ بن باديس فلسفته وجهوده فى التربية والتعليم) .

(7) محمد الطاهر بن عاشور (أليس الصبح بقريب) ص 266 .

وقد أثار هذا الاجراء هيجان الطلبة لأن القرار المذكور لا يحقق في نظرهم غير هدفين سلبيين أولهما : حرمان التلميذ النجيب من فرص التفوق. واختزال مراحل الدراسة ، وثانيهما تقويض آمال صنف آخر من الطلبة الذين يتلقون المراحل الأولى من تعلمهم في قراهم ومدنهم على مدرسين أفاضل ، ثم يقبلون على الجامع للاشتراك في الامتحانات الخاصة التي تصنفهم حسب امكانياتهم وقابلياتهم العلمية . ومن حسن طالع بن باديس أن ثار الطلبة في وجه هذا القانون الجديد الذي أصدرته نظارة الجامع ، وقاموا بتنظيم مظاهرات لمعارضته ، وقدموا عرائض استنكار الى الجهات المعنية ، وخوفا من تفاقم الاضرابات استجيب لطلبهم ، وعلق العمل بهذا القانون الى السنة الموالية .

وبهذا تسنى لابن باديس « الادعاء » الى السنة الخامسة ، فيما يبدو . فكسب بذلك أربع سنوات مدرسية بأكملها .

على أن التأكد من الوضعية الدراسية التي أتاحت للشيخ بن باديس القفز الى شهادة التطويع خلال ثلاث سنوات فقط تستدعي الاطلاع على دفتره (8) المدرسي الذي ربما كان ضمن تراثه العائلي . فقد جرت العادة على عهده أن يحتفظ الطلبة بدفاترهم المدرسية طيلة سنوات الدراسة بحوزتهم ، ممهورة بملاحظات مدرسيهم في كل مادة ، ومشفوعة بقرارات الادارة . وذلك قبل أن تسن القوانين الاصلاحية اللاحقة التي خولت للادارة الاحتفاظ بنسخة من هذا الدفتر بعد الاصلاح الذي أدخل على التعليم الزيتوني وأنظمته الادارية .

ومن المرجح أن دراسة الشيخ بن باديس كانت توجت بحصوله على شهادة التطويع بتفوق ، أما الاشارات الواردة في بعض خطبه وكتاباته الى حصوله على شهادة « العالمية » من الزيتونة ، فانما كان يعني بها شهادة

---

(8) الدفتر المدرسي المشار اليه . وصفه الشيخ الطاهر بن عاشور في كتابه (أليس الصبح بقريب) ص 122 كما يلي « دفتر في القالب الربعي يشتمل على 100 صفحة ، في كل ورقة جداول ثلاثة هي لذكر اسم الكتاب ووضع اسم الشيخ المدرس بخطه ، وشهادة الشيخ للتلميذ صاحب الدفتر بمقدار ما حضره من الكتاب الى تاريخ تسجيل تلك الشهادة » .

« التطويع » دونما شك . اذ من المعلوم ان شهادة (العالمية) (9) المذكورة كانت قد أسندت اليه في مصر عند حضوره بعض دروس الجامع الأزهر على الشيخ محمد بخيت المطيعي (10) ، وهي شهادة لم تكن قد استحدثت بعد في المناهج الزيتونية .

ورغم السنوات القليلة التي قضاها بن باديس في رحاب الزيتونة فاننا نجده يحتفظ لهذا الجامع ولبعض مدرسيه بأسمى الاجلال والعرفان . وكثيرا ما أشار في المناسبات الكبرى التي احتفل فيها بتكريمه الى ذوي الفضل عليه من الأساتذة العلماء الذين أثروا في نفسه أبلغ تأثير ، وبروا بمواهبه . وفي مقدمة هؤلاء « المشائخ الذين علموني العلم ، وخطوا لي مناهج العمل في الحياة ، ولم يبخسوا استعدادي حقه أتذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البليغ في تربيتي ، وفي حياتي العلمية ، وهما من بين مشائخي اللذان تجاوزا بي حد التعليم المعهود من أمثالهما الى أمثالي - الى التربية والتثقيف ، والأخذ باليد الى الغايات المثلى في الحياة » (11) أحد الرجلين هو حمدان الونيسي الذي لم يفتأ بن باديس يذكره بفضائله الكثيرة ، فضائل من بذر البذرة الأولى ورعاها ، وغرس في نفسه مبدأ العلم ، والمعرفة من أجل خدمة الوطن والانسانية قاطبة .

أما الثاني فهو الشيخ محمد النخلي القيرواني (12) الذي فتح له آفاقا لا تحد ، ودفعه الى اعمال الرأي ، وخلصه مما كان يرين على بصيرته من الضجر الذي انتابه من جراء أساليب المفسرين من أساتذته التقليديين الذين كانوا يعتمدون في تفسيرهم ودروسهم على الجدليات ، والاختلاف في كلام الله.

---

(9) محمد الصالح رمضان - وتوفيق محمد شاهين (تفسير بن باديس : في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) دار الفكر ببيروت - ط. 2 - ص 706 .

(10) من كبار علماء الأزهر ، ومن تلاميذ الأفغاني ومحمد عبده ، تأثر بآرائهم ودعا الى الاصلاح ، توفي سنة 1935 .

(11) (الشهاب) ج 4 - م 14 - جوان - جويلية 1938 .

(12) محمد النخلي (1862 - 1924) ولد بالقيروان ، وتوفي بتونس العاصمة ، شاعر وفقيه من اعلام مدرسي جامع الزيتونة ، تميز بنظرته الاصلاحية وشدة تأثره بأراء عبده والأفغاني .

وحشو ذهنه وأذهان أضرابه من التلاميذ بما يحفظون من القوالب والمقولات دون اعمال فكر أو تدبر .

ويذكر لهذا الشيخ نصيحة كان لها تأثيرها العميق على تغيير مجرى تفكيره : « ذلك أننى كنت متبرما بأساليب المفسرين ، وادخالهم لتأويلاتهم الجدلية . واصطلاحاتهم المذهبية فى كلام الله ما ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن .

وكان على ذهنى بقية غشاوة من التقليد . واحترام آراء الرجال حتى فى دين الله وكتاب الله . فذاكرت الشيخ محمد النخلى فيما أجده فى نفسى من التبرم والقلق فقال : (اجعل ذهنك مصفاة لهذه الاساليب المعقدة ، وهذه الاحوال المختلفة ، وهذه الاراء المضطربة ، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح) ، فو الله لقد فتح بهذه الكلمات القليلة على ذهنى آفاقا واسعة لا عهد لى بها » (13) .

على أنه كان يحتفظ أيضا الى حد سنة 1936 بذكرى عطرة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (14) أحد مشائخه القلائل الذين تأثر بهم ، وأعجب بأساليبهم وطريقة تدريسهم ، ونظرتهم للأدب واللغة العربية ، وذلك قبل أن يتحول الشيخ بن عاشور فى نظره الى موظف فى الادارة التونسية « يقاوم السنة ويؤيد البدعة ، ويغرى السلطة بالمسلمين » (15) .

---

(13) (الشهاب) ج 4 - م 14 ، جوان - جويلية 1938 .

(14) محمد الطاهر بن عاشور (1879 - 1973) ولد بالعاصمة وتوفى بها ، من كبار علماء الزيتونة ، تتلمذ عليه الكثيرون ، وكانت له مشاركة بناءة فى تطوير مناهج التعليم الزيتونى واصلاحها ، وتقلد عدة وظائف علمية وادارية من أشهر مؤلفاته : تفسيره (التحرير والتنوير) و(مقدمة شرح الحماسة للمرزوقى) و (أليس الصبح بقريب) و(أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام) وشرح ديوانى بشار ، والنابغة الذبيانى .

(15) كتب الشيخ بن باديس فى اعداد (البصائر) الصادرة بين 24 أفريل 1936 و 15 ماى من نفس السنة سلسلة من المقالات تمحض فيها للرد على الشيخ الطاهر بن عاشور فيما اسماه « مقاومة » الطاهر بن عاشور للسنة وتأييده « البدعة » .

على أن اعجابه القديم بشيخة الطاهر بن عاشور لم يحجب عنه رؤية مناقشته ، والتصدى لآرائه ، عندما أستوجب الأمر ذلك ، موضحا بهذا الصدد وجوب التفريق بن الانصياع للعاطفة والدفاع عن الحق قائلا عن نفسه « اننى امرؤ جبلت على حب شيوخى وأساتذتى ، وعلى احترامهم الى حد بعيد ، وخصوصا بعضهم ، وأستاذى هذا من ذلك الخصوص . ولكن ماذا أصنع اذا ابتليت بهم فى ميدان الدفاع عن الحق ونصرته ؟ (16) »

وهو لا ينسى حتى فى موقف نصرة الحق والدفاع عنه ، واعلان الخصومة فى وجه استاذه أن يقر بما له من الفضل عليه ، وبعدد مآثره ، ويعظم صورته القديمة التى ظلت على ما هى عليه ، قبل أن تداخلها الصور الجديدة التى نقلتها الصحافة عنه : « وان انس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ بن عاشور ، وكانت أول ما قرأت عليه ، فقد حببتنى فى الأدب والتفقه فى كلام العرب ، وثبتت فى روحا جديدا فى فهم المنظوم والمنثور ، وأحيت فى الشعور بحب العروبة ، والاعتزاز بها كما أعتز بالاسلام » .

وحفاظا على روعة تلك الصور القديمة ، وغيرة عليها نجد بن باديس يجاهر بمشاعر الحزن لما نقلت جريدة (الزهرة) ما ساءه من كلام أستاذه ، ولما بلغه عن طريق تلاميذه أنه أصبح يميل الى الطرق اللفظية ، شأنه شأن الأساتذة التقليديين الذين حذره شيخه القديم من اتباع طرائقهم العقيمة .

ويعزو بن باديس تحول استاذه هذا الى طابع الوظيف الذى طغى عليه عندما دخل سلك القضاء « فخبت تلك الشعلة ، وتبدلت تلك الروح ، فحدثنى من حضر دروسه فى التفسير ، أنه ــ وهو من أعرف إنكاره على الطرق اللفظية وأساليبها ــ قد أصبح لا يخرج عن المألوف فى الجامع من المناقشات اللفظية على طريقة عبد الحكيم فى مماحكاته وطرائق أمثاله ،

---

(16) (الصراط) السنة الأولى 24 أفريل 1936 (كانت الخصومة تتعلق بمسألة قراءة القرآن على الأموات ، اذ كان هذا الموضوع موضع خلاف بين المصلين والحافظين) مجلة الثقافة مارس ــ أفريل 1980 الاستاذ على مقدم .

وبقى حتى تقلد شيخ الاسلام ، ووقف هو (17) وزميله الحنفى فى مسألة التجنيس المعروفة منذ بضع سنوات ، ذلك الموقف ، حتى أصبح اسمه لا يذكر عند الأمة التونسية الا بما يذكر به أمثالـــه .

وها هو اليوم يتقدم بمقال نشر بجريدة (الزهرة) فى عدد يوم الاثنيـن الرابع عشر من هذا المحرم يقاوم السنة ، ويؤيد البدعة ، ويغرى السلطـة بالمسلميـــن .

فهل ابن عاشور هذا الملقب بشيخ الاسلام هو ابن عاشور أستاذى الذى لا أعرفـــه » (18) .

فى سلسلة من المقالات بنفس الجريدة طفق بن باديس يرد على شيخه ابن عاشور ويناقش أفكاره ، ورغم مـا اتسمت به تلك المقالات من الحـدة والحماس فانها ولا شك ذات دلالة واضحة على روح الجرأة التى كان بـن باديس يتحلى بها . فهو فـى مواقف العرفان والاكبار لا يدخر كلمـة حق وصدق ووفاء يقولها فى حق أستاذ بارز ، ولكنه فى مواقف الخصام والدفاع عن الاســلام ، واختلاف الاراء لا يكتـم الشهــادة ولا يدع الكلمة الصادقـة تتلجلج فى صدره خيفة أن يؤاخذ بالتنكـر والجحود . والحقيقة أن قضيـة الخلاف بين الشيخين - أو لنقل بين التلميذ وأستاذه مردهـا فى الأسـاس اختلاف طبيعة التفكير فى شخصية كل منهما ، واختلاف الأوضاع السياسية والاجتماعية بين القطرين الجزائرى والتونسى .

كان بـن باديس فى هذا الظرف العصيب مـن نشاط (جمعيـة العلمـاء المسلمين) يشن حربـه الضاريـة المتواصلة ضـد السلطات من جهـة ، والطرقيين والأحزاب السياسية من جهـة أخرى ، متسلحا بحوافز الدفـاع عن الشخصية الجزائرية العربيـة الاسلامية ، فى حين لم يكن الوضع فـى

(17) (الزهـرة) 1 أفريـل 1936 .
خلاصة موقف ابن عاشور من قضية التجنيس هو قوله بأن المجنس اذا تراجع فى هفوته ، وأعلن توبته تسقط فى حقه تهمة الالحاد ، ويعـود الى صفوف المسلمين ، وهو رأى مخـالف لاولئك الذين قالـوا بكفـر المجنس كفرا مطلقا لا رجعة فيه ، مهما كانت توبته .
(18) (البصائـــر) 24 أفريل 1936 .

تونس يدعو للخوف أو الحذر من مسخ الشخصية أو المس من العقائد والمذاهب . وكل ما هنالك هو أن الشيخ ابن عاشور كان يدافع في مرونة عن مقومات هذه الشخصية وقد عدت هذه المرونة في بعض الأحيان مظهرا من مظاهر الضعف وأسلوبا من أساليب المناورة خصوصا موقفه من التجنيس ، وموقفه مما أسماه بن باديس بتأييد البدعة .

وبالاضافة الى شيخيه الزيتونيين اللذين ظل على العرفان لأحدهما وهو الشيخ محمد النخلي ، وخاب مأموله في ثانيهما وهو الشيخ ابن عاشور ، فقد تعرض بن باديس باكبار واضح الى ما تركته في نفسه دروس البشير صفر (19) ، وكراريسه « الصغيرة الحجم ، الغزيرة العلم التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي والتي زرعت في نفسي هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر » (20) ، وهي الدروس التي كان يتلقاها في الخلدونية (21) على أستاذه المذكور الذي كان أحد كبار الزعماء الوطنيين والأساتذة المرموقين ، حيث جرت العادة أن تخصص دروس الخلدونية منذ انشائها في سنة 1896 الى تلاميذ جامع الزيتونة لاستكمال معلوماتهم في المواد العلمية العصرية كدروس الحساب ، والمساحة ، والجغرافيا والتاريخ ، والكيمياء ، واللغة الفرنسية ، ومبادئ حفظ الصحة ، والطبيعيات (22) ، ويتطوع بالقاء هذه الدروس خيرة الأساتذة بمن فيهم حافظ الجمعية الخلدونية نفسه الشيخ البشير صفر .

ولا شك أن بن باديس كان كغيره من التلاميذ تلقى بعض هذه الدروس ، سواء بصورة انتظامية أو غير انتظامية ، اذ كانت التراتيب الادارية لا تمنع الطلبة من الاقبال التلقائي وحضور الدروس بصفة فردية حرة .

---

(19) محمد البشير صفر (1863/1917) درس بالمدرسة الصادقية بتونس ، ثم بالمعاهد الفرنسية العليا ، أسس في سنة 1888 جريدة (الحاضرة) وفي سنة 1896 المدرسة الخلدونية التي كان أول رئيس لها ، كما ساهم في انشاء عدة مشاريع خيرية ، فأطلق عليه الشعب التونسي لقب (أبو النهضة التونسية) .

(20) (الشهاب) ج 5 ، م 13 ، جويلية 1937 ص 225 .

(21) الخلدونية : معهد علمي عصري تأسس سنة 1896 ، واعتبر فرعا من فروع الزيتونة يتلقى التلاميذ فيه دروسا في العلوم التطبيقية والنظرية .

(22) محمد الطاهر ابن عاشور (أليس الصبح بقريب) ص 102 .

هؤلاء العلماء الثلاثة هم الذين كانوا أثروا تفكير الشيخ بن باديس ، وكان لهم أثر فى توجيه ذوقه الأدبى الذى برز فى أسلوب مقالاته التى كانت فى متناول كل مستويات القراء ، وفتح آفاقه الذهنية ، وتخليصه من الرواسب والمكبلات ، فتبوأ لأعمال الرأى والاجتهاد والفهم السليم ، كما كان لهم الفضل فى اطلاعه على تاريخ أمته وقومه ، ودفعه لأن يكون جنديا من جنود الجزائر المثاليين . ولا شك أن هذه المآثر والسجايا هى التى أصبحت فيما بعد علامة بارزة من علامات شخصية بن باديس ، وانعكست على سلوكه ودروسه ، وملأت نفسه بحب العروبة والاسلام ، وأضحت فلسفته وطابع حياته .

فقد أعجب بن باديس بروح التحرر وبالنظرة الاصلاحية التى لمسها فى تفكير شيخيه النخلى وابن عاشور فهما متشبعان بقوة الاصرار على تجاوز المنافسات والحساسيات والجمود ، الذى يزخر به الوسط الذى يعيشان فيه ، فأحب بن باديس فيهما هذا الجانب البناء ، والاندفاع نحو الاصلاح ، والحماس لآراء كبار المصلحين أمثال : جمال الدين الأفغانى (23) ، ومحمد عبده (24) ممن لاح أثرهما جليا على الفئة المتحررة من مشائخ الزيتونة .

يحلل بن باديس فى بعض مقالاته وأحاديثه الظروف التى تعرف فيها على هذين الشيخين ، وما تركا فى نفسه من الأثر بعد اتصاله بهما واحتكاكه بآرائهما قائلا « عرفت الأستاذ الطاهر ابن عاشور فى جامع الزيتونة ، وهو ثانى الرجلين اللذين يشار اليهما بالرسوخ فى العلم ، والتحقيق فى النظر . والسمو والاتساع فى التفكير . أولهما العلامة شيخنا محمد النخلى القيروانى رحمه الله . وثانيهما الأستاذ شيخنا الطاهر بن عاشور وكانا كما يشار اليهما بالصفات التى ذكرنا ، يشار اليهما بالضلالة والبدعة وما هو أكثر من ذلك ، لأنهما كانا يحبذان آراء الأستاذ محمد عبده فى الاصلاح ، ويناضلان عنها ، ويبثانها فيمن يقرأ عليهما .

---

(23) جمال الدين الأفغانى (1838/1897) من كبار المصلحين الاسلاميين فى أواخر القرن التاسع .

(24) محمد عبده (1842/1905) تلميذ الأفغانى وزميله فى الدعوة للاصلاح والخروج بالعالم الاسلامى من حالة التدهور الدينى والاجتماعى والسياسى .

وكان هذا مما استطاع بـه الوسط الزيتونـي أن يصرفني عنهما . ومـا تخلصت من تلك البيئـة الجامدة واتصلت بهما حتـى حصلت على شهـادة « العالمية » (25) ووجدت لنفسي الاختيار ، فاتصلت بهما عامين كاملين كان لهما في حياتي العلمية أعظم الأثر . على أن الأستاذ بن عاشور أتصلت بـه قبل نيل الشهـادة بسنـة فكان ذلك تمهيـدا لاتصالـي الوثيـق بالأستاذ النخلـي » (26) .

على أن هناك عاملا هاما من عوامل التأثير في تكوين شخصية بن باديس الاصلاحية والوطنية لم تقع الاشارة اليه من طرف أغلب الدارسين ، كما لم يتعرض له بن باديس نفسه في أحاديثه أو خطبه ، وهو الذى أعتاد أن يلقى بعض الأضواء من حين لآخر على المؤتمرات العامـة التى رافقت نضالـه ، وأمدته بالعون ، وأسعفته في اللحظـات الحرجة من لحظات قلقه الذهنـي أو عمله الوطني ، هذا العامل الخفي المتغاضى عنه هو عامل جزائرى بحت يرتبط بظهور كتابات عمر راسم ، وعمر بن قدور (27) التى ملأت الصحافـة التونسية بشكل ملفت للنظر خلال الفترة من سنة 1907 الى 1911 ، وهـى الفترة ذاتها التى أقامها بن باديس طالبا بالزيتونـة .

وليس مـن المناسب قط تصور عدم اطلاع بـن باديس علـى المقالات المشار اليها ، وهى تتطرق بعمق الى المشاكل الجزائرية ، وتغطى أخبـار الوطن البعيد ، وتسـاهم في طرحها على الرأى العام التونسي ، الذى كان طلبة الجـامع الأعظم يشكلون قاعدتـه العريضة . فمما لا شك فيـه أن بن باديس طالع هـذه المقالات ، وتثقـف بهـا وفتح عليهـا وعيـه السياسي والوطنـي ، سيمـا وقد كانت تعالج قضايا تتجاوب في أبعادها المنظـورة والخفية مع آراء الأفغاني وعبده ، وتعبر عن انتماء النخبة الاسلامية الجزائرية الى هذه الحركة الاصلاحية الشاملة .

---

(25) يقصد الشيخ بن باديس بشهادة « العالمية » شهادة التطويع كما سلف أن أشرنا الى ذلك في طالع هذا الفصـــل .

(26) (البصائـر) 24 أفريل 1936 .

(27) مناضلان جزائريان معروفان ، جاهدا بالقلم والفكر للدفاع عن الشخصية العربية الاسلامية للجزائر ، وسجنا من طرف الاستعمار مرات متعـددة وساهما بالكتابة في العمالة التونسية .

واذا لم يكن بن باديس قد طالع كل ما نشر بهذا لصدد فانه أطلع دونما ريب على العدد الصادر من جريدة (المشير) بتاريخ 6 اوت 1911 والمتضمن قصيدة الشاعر عمر بـن قدور التى عنوانها (الضمير والاصداع اذ صـادف أن حمل هذا العدد نفسه قائمة المتطوعين الذين تخرجوا فـى تلك الدورة من الزيتونة وفى طليعتهم بن باديس .

ولعل السبب الذى جعله لا يذكر هؤلاء فى عـداد المؤثـرات التى تأثـر بها هو اعتبار حركته امتدادا لحركتهم ، واعتبار تـراثهم الفكـرى والنضـالى ارثا وطنيا وليس عاملا أو مؤثـــرا .

ومن ثمة يجوز الادعاء بأن بن باديس أعتنق الفكرة الاصلاحية فى رحاب الزيتونة ، متأثرا بشيخيه المذكورين النخلى ، وبن عاشور . واكتشفها على صفحات الجرائد التونسية فى مقالات نخبة الاصلاحيين الجزائريين وفـى مقدمتهم عمر راسم وعمر بن قدور . ويبدو من المستبعد فعلا ان يكون قـد تناقل الفكرة الاصلاحية عن أساتذته بقسنطينة ، أو تسربت اليه بمناسبة زيارة محمـد عبـده الى هـذه المـدينة ، والقـائه هنـاك بعض المحـاضرات التوجيهية ، اذ ان بن باديس كما يؤيد ذلك الدكتور تركى رابح « كان فـى ذلك التاريخ لا يزال غلاما يافعا لم يتجاوز عمره الرابعة عشر بعد . ولذلك فلا نعتقد أنه اجتمع بالامام محمـد عبده فى مدينة قسنطينـة ، وحتـى اذا كان قد اجتمع به وحضر دروسه فلا يمكنه أن يستوعب أفكاره الاصلاحية ، وهو فى هذا السن المبكر » (28) .

ذلك أن الأفكار الاصلاحية التى روج لها الأفغانى وعبدة لم تحتل مكانتها ولم تنتشر انتشارها الواسع الا بعد زيارة محمد عبده الى تونس فى سنة 1903 ، واتصال النخبة التونسية بمجلتى (العروة الوثقى (29) . (المنار) (30) وافساح صفحات هذه المجـلات لمقـالات هـؤلاء المشائخ ، وربط الصلة

---

(28) د رابح تركـى (ابن باديس ونشأة الحركة الاصلاحيـة فى الجزائـر) الاصالة ، مارس ــ أفريل 1975 .

(29) صدرت بباريس من 19 مارس الى 16 اكتوبـر 1998 باشراف كل مـن الأفغانى وعبده ، وكانت تصل بانتظام الى تونس ، تتداولهـا النخبـة التونسية .

(30) صدرت فى 15 مارس 1898 لصاحبها محمد رشيد رضـا ، وتوقفت عن الصدور فى شهر جويلية 1935 .

بهم ، والتعبير عن اعجابهـا بطرق تفكيرهـم وأساليبهم (31) حيـث أصبح الوسط الزيتونى شديد التعلق بهذه الحركـة الاصلاحية ، تربطـه علاقات شخصية ودية برجالاتها ، منفعلا بالدعوة اليها . وقد صادفت هذه الحركـة بن باديس وهو فى عنفوان الطلب ، يعيش حياته الطالبية بعمق فى صحبة اساتذته الذين اعجب بهم ، ومع الوسط الاجتماعـى الطالبى والسياسـى الزاخر بالمناقشات والأفكار الجريئة .

وهكذا نجد بن باديس يتأثـر بالأفكار الاصلاحيـة بصورة مباشرة عن طريق اساتذته الذين اشـار اليهم وكذلك بصورة غير مباشـرة عن طريق الوسط الفكـرى والاجتماعـى والسياسى الذى عايشه فى تلـك المرحلـة العصيبة من مراحل النضال الوطنى . واذا كان اولئك الأساتذة قد كان لهم فضل تخليصه من الغيبيات والمكبلات الفكرية ، ورفعوا عن بصيرته غشاوة التقليد ، وعلموه الجرأة والاصداع بالرأى ، وخلصوا أسلوبه من الترهات اللفظية ، وحببوا اليه اللغـة العربية ، وأيقظـوا حسه علـى حب العروبـة والاسلام فان الوسط الاجتماعى الزيتونى هـو الذى كان لـه الفضل فـى تكوينه السياسى بما طالع في الصحافة والمجلات من مقالات سياسية، واخبارية، وتحليلية حول وضع الجزائر وهـى تناقش مسألة التجنيد الاجبارى طيلة السنوات (1908/1912) وبما كان يشاهد من كوارث تحقيق بالأقطار الشقيقة المجاورة لبلده ومن أطماع ايطاليا وحربها فى طرابلس الغرب فى خريـف 1911 (32) ، وفرنسا وهجوماتها العسكرية على المغرب (33) ومحاولة اخضاع شوكته لسيطرتها . ثم كان شاهد عيان لما جرى فى تونس مـن حوادث فى شهر نوفمبر 1911 (34) ، وسقوط لضحايا ، والصدام الدموى الرهيب اثر حادثة الزلاج المعروفة .

ـ يتبـع ـ

(31) انظر (تقويم المنصور) س 4 1926 فقد نقل عن مجلـة (المنار) نص خطبة للشيخ محمد النخلى وقد علقت عليها المجلة المذكورة بقولهـا « نحيى الجمعية الزيتونيـة ونحمد الله أن وجد من علمائنا مثل هـذا الخطيب وعسى أن يكون لطلاب الأزهر جمعية مثلها » .

(32) هاجمت ايطاليا مدينة طرابلس فى 29 سبتمبر 1911 ، وبن باديس ما يزال آنذاك طالبا بالزيتونة بتونس .

(33) احتلت فرنسا مدينة فاس فى 21 ماى 1911 .

(34) هو الصدام المسلح الذى حصل بيـن الوطنيين التونسيين من أجل القضية المعروفة بقضية الزلاج والتى حاول فيها المستعمر الاعتداء على المقبرة الاسلامية . وقد استمر الصدام أيامـا بداية من شهر نوفمبـر 1911 ، وانتهـى باعدام العديديـن . راجع كتـاب (معركة الـزلاج) للسيدين الجيلانى بن الحاج يحيى ، ومحمد المرزوقى ، نشرة مكتبـة (المنـار) تونس 1961 .

الطـــريق ...

شعر: حميده الصولي

دمي المسفوحُ جرحٌ في عيون الضوء لاحْ
دمي المسفوحُ عطرٌ زخّه البدرُ
على وجه الصباحْ
دمي المسفوحُ شكوى في التواءاتِ الرياحْ
دمي المسفوح هذا الحزنُ ..
ذاك الانشراحْ
وانا ما زلتُ اقوى من سلالاتِ النواحْ
مركبي فوق شظايا الحزنِ ..
بل فوقَ الجراحْ

* * *

إنّها اوسمةُ الخيزْي على الارضُ على تلك الجباهِ المطرقهْ
فاشهدي أيّتها الارضُ سراب الكلماتْ
واماني الصمتِ هذي الموثقةْ

* * *

صوتيَ الشمس وانغامُ الربيعْ
صوتيَ الحبُ وايماني المريعْ

غــادري حنجرتي أيّتها الآهْ ..
ونــامي في عظامي
ظامىءٌ هذا المدى ..
منتفخٌ حدّ الـزكامِ
وانا مازلتُ في الـدربِ ..
وقلبي ثائرٌ حدّ الصدامِ
أيُّنا الخنجرُ .. مَنْ مِـنَّا ذَبيحُ الإنتقامِ

* * *

غازيًا جئتُ صحاري الكلماتْ
وعنيفا كنتُ كالسيــل ..
فصَوْتي عربيٌ
ومـواعيدي زمسان الشمسِ يا ليلَ الحياة
جرحيَ الدامي طراحٌ أبَدِيٌّ ..
واغتـرابي سفرٌ طال ..
واشـواقي نـبات
وضلـوعي احترقتْ .. ضجّتْ .. ومـادتْ
قيـل لي : خلفَ الضلوعِ القلبُ مـاتْ !
ايـها القلبُ تأهَّبْ لِـنُـغـنِّي
فـاخلعِ — الانَ — ألاعيبَ التّمَنّي ،
يـا عيوني لا تـنَامي ..
واهـزئي إنْ شئْتِ مِـنّي
فعَصَافِيرُ بلادي سَافَرَتْ مِنْ غَيْرِ إذْني !

* * *

أشْرِقِي شمسَ جراحي
فـخار الـثـلجِ هذا مُتْـعَـبٌ
حــدَّ الـنـواحْ
فـدمـائي تُسْفَـحُ اليومَ على كلِّ طريقْ
لستُ مشلولا ولـكـني أسيرٌ في طليقْ
أحصدُ الغَـدَّرَ بـكفٍ ..
وبـأخرى اتلَـهَّى باختلاجات الشروق
يا زمانَ الـغدر .. والـقـيد رفـيقْ
لك منِّي جولةٌ فيها يهبّ المستفيق،
وبـريقُ الزيفِ يخبو حيثما لاح البريقْ

* * *

لِلِـقاءِ الـعـربيِّ العمرَ غنَّيْتُ .
وحـبري لم أزلْ فـيـه ... اريــقْ
يـا صـديقي .. يـا صديقي .. يـا صديق
هذهِ تـبـقى .. وتـبـقى هـذهِ ..
ضــوءَ الطريقْ

حميده الصولى

من قصائد الاعداد القادمة

أغنية حب لا تنتهى	حمادى الباجى
رجع الصدى	رجب بن مهنى
أجمل صورة	مصطفى النجار
حذاء فى مجلس الأمن	ممدوح مولود

عالمية الموسيقى العربية

بقلم : صالح المهدي

ان الحديث عن الموسيقى العربية لابد ان يجرنا الى تناول كلمات الاغـانى ، والمقامات والايقاعات التى الفت عليها تلكم الموسيقى وكذلك عن التراكيب وعن الآلات التى عزفت بها .

وعالمية الموسيقى العربية تبرز من خلال كـل عنصر مـن العناصر الـتى ذكرناها والتى سنتناولها عنصرا عنصرا لنبين مدى اثراء الفن العربى للحضارة الانسانية بمختلف القارات .

أ ـ **من حيث الكلمات** : نلاحظ ان الاغانى العربية كانت ولا تزال متفتحة على لغات جميع الشعوب التى نالها شرف بلوغ الدعوة الاسلامية ، ذلك ان الاسلام لم يكن ليسلط ثقافة معينة على الشعوب بل لا داعى له سوى ابلاغ الدعوة اما من حيث الثقافة فان العرب يضعون ما وصلت اليه حضارتهم فى متناول تلكم الشعوب ولا يستنكفون من اخذ ما يوجد لدى هؤلاء الشعوب من علوم وفنون وآداب بشرط واحد هو ان لا تمس بالوحدانية التى تركز عليها الدين الاسلامى الحنيـف .

ولذلك نرى الثقافة العربية اعطت الكثير واخذت الكثير حتى اصبح هنالك امتزاج ببعض اللغات خاصة فى مستوى لغة التخاطب صعـب التخلص منـه وتفككه او المس حتى مـن بعض تراكيبه او كلماته سواء اكان ذلـك من بعض الاقطار العربية او من الاقطار الاسلامية خاصة فى تركيا فى اول عهد الجمهورية

ومن حيث الغناء نرى امتزاج اغانينا وموشحاتنا بكلمات غير عربية وهـذا يشكل فى نظرى عنصرا ايجابيا لتوسيع آفاق الغناء العربى واليكم امثلة فى ذلـك :

1 ـ من أبرز الموشحات الشائعة فى تونس وفى ليبيا ذلك الذى طالعه : يا غزالا بين غزلان اليمن ، وهو يعتبر من اعرق شواهد مقام العجم مسجل بالاذاعتين وتتناوله الفرق حتى الآن ، ونجد فى البيت الاخير منه تعبيرا فارسيا وهو : « يا غزالا بلسان عربى ـ ولسان الفرس « أيدوست من » وهذا يدلنا على ان الشاعر اراد ان يترجم لحبيبته الفارسية ما يريده من كلمة «ياغزالا» وترجمة الكلمة الفارسية « يا حبيبى » .

2 ـ من الموشحات المطروقة بالمشرق العربى فى مقام السيكاه وبتونس فى مقام الحسين صبا ذلك الذى طالعه :

يا اسمر يا سكر — يا لون الذهب

ونجد فى آخر بيت منه كلمات تركية وهى :

عزتلو سلطانم — الله ينصرك

وهذا يقابل بما اشتهرت به الموشحات الاندلسية من اشتمالها فى آخر كل موشح على خرجة تجمع بين اللغة العربية واللغة الاسبانية وكتاب جيش التوشيح للسان الدين بن الخطيب مملوء بمثل هذه الموشحات التى نذكر منها على سبيل المثال من آخره موشح لابن بقى : قوله :

البادية اشتديه — دى ذا العنصر حقا
بشترى مو المدبج — ونشق الرمح شقا

ومعنى هذه الخرجة : « هذا اليوم يوم فجرى ، انه يوم عيد العنصره ، سوف البس ثوبى المزين واشق الرمح شقا .

ومن ذلك نلاحظ امتزاج اللغتين الاسبانية والعربية فى خرجة الموشح وقد بقيت الكلمات العربية فى الغناء الاسبانى حتى يوم الناس هذا وسافرت ضمن تلكم الاغانى الى امريكا اللاتينية واستقرت بها .

وقد تجاوز اختلاط اللغة العربية بغيرها الموشحات والاغانى ليدخل حتى القصائد والدوبيت من ذلك ما نرويه على المرحوم الاستاذ محمد العقربى التونسى من غنائه للدوبيت الآتى :

سلطان جمالك كتب من ادمعى اسطر — ومثلك فى الفكر والحشا ما يخطر
وحق من قال .. «آدم فى الجنان انظر» — « سنن جمالن قبى بو دنيا ذايك تر »

ومعنى عجز البيت الثانى ومثل جمالك فى هذه الدنيا لا يوجد .

وتجاوز ايضا اختلاط الاغانى العربية بالكلمات الفارسية والتركية الى الترنمات التى هى كلمات تضاف لنص الغناء عند تجاوز اللحن الموسيقى لحجم ذلك النص فتضاف حينئذ للموشحات والاغانى كلمات زائدة منها العربية مثل « يا ليل » و « يا عين » ويا « دانه » وما اشتق منها ، ومنها الفارسية مثل « يادوست » بمعنى « يا حبيبى » و « فريادمن » بمعنى « النجدة » ومنها التركية مثل : « رجانم » بمعنى « روحى » و « افندم » بمعنى سيدى و « أمان » للاستعطاف .

وهكذا نلاحظ ان الموسيقى العربية دخلت البلاد الفارسية والتركية والاسبانية فاعطتها واخذت منها من حيث كلمات الاغانى ونجد فى غناء هذه البلدان كلمات عربية لا تزال تستعمل حتى الآن ولم تمسسها الايدى العابثة .

وظاهرة الاختلاط فى الغناء برزت فى اول عهود الغناء العربى الاسلامى حيث يحكى لنا ابو الفرج الاصبهانى فى كتابه « الاغانى » ان الفنان « سائب خاثر » المتوفى فى عهد الخليفة الاموى اليزيد بن معاوية حوالى سنة 64 هـ 683 م كان اول من استعمل الالحان الفارسية فى الشعر العربى وتبعه فى ذلك سعيد بن مسجح المتوفى سنة 96 هـ 715 م .

كما يروى لنا ان المغنى الفارسى « سلمك » نقل غناء الرمل عن المغنى العربى « مسلم بن محرز » ووضع عليه كلمات فارسية وان ابن محرز هذا تعلم الحان الروم بالشام وذهب الى فارس وتعلم الحانها وكون من ذلك مع الالحان العربية مدرسته الخاصة التى اشعت كما اسلفنا خارج البلاد العربية .

ب ــ **من حيث الايقاع :** نرى ان الموسيقى الغربية تعتمد حتى الآن سواء فى سنفونياتها الكلاسيكية او فى اغانيها الشعبية على ايقاعات بسيطة لا تتجاوز النقرتين او (الحركتين) او الثلاث او الاربع ، وعلى ايقاعات نعتت بالمركبة تصرف الحركتين الى ست نقرات او اصوات والثلاث حركات الى تسع نقرات والاربع حركات الى اثنتى عشرة نقرة ونلاحظ ان تنويع الايقاعات الزائد عما ذكرنا لا يوجد الا لدى البلدان الشرقية او الغربية التى وصلتها الكلمة العربية بواسطة الفتوحات الاسلامية مثل بلدان اوربا الوسطى وبلدان آسيا التى تطورت لديها الايقاعات وتنوعت ابتداء من تفعيلة الشعر العربى ، من ذلك ان الوزن ذا الخمس نقرات نجده فى تفعيلات المتدارك «فاعلن» وهو يفسر بالترقيم

الموسيقى كما يلي  وكذلك فى تفعيلات المتقارب « فعولن »
وهو يفسر كما يلى  كما نجد من وزن ستة تفعيلة « مفتعلن »

ولعلها هي اصل وزن خفيف الرمل الذى تعرض له فيلسوف العرب ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى المتوفى سنة 252 هـ 866 م فى رسالته التى عنوانها « اجزاء خبرية فى الموسيقى » المحفوظة بدار الكتب العامة « ببرلين » تحت عدد 5536 والتى تقابل وزن « الفالز » الذى برز بفيانا عاصمة النمسا ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادى .

اما الوزن ذو السبع وحدات فانا نجده فى التفعيلات الآتية :

1 ـ من الهزج « مفاعيلن » وتفسر بـ 
2 ـ من الرمل « فاعلاتن » وتفسر بـ 
3 ـ من الرجز « مستفعلن » وتفسر بـ 
4 ـ من الوافر « مفاعلتن » وتفسر بـ 
5 ـ من الكامل « متفاعلن » وتفسر بـ 
6 ـ وكذلك تفعيله « مفعولات » وتفسر بـ 

فجميع هذه التفعيلات اذا ما ركبت فيما بينها انتجت للشعر العربى اوزانه وانتجت للموسيقى العربية ايقاعات شعت على البلدان الاوربية وخاصة منها بلدان البلقان التى لا تزال ممارسة لها حتى الآن وكذلك على العديد من بلدان آسيا ، والمعروف ان الاتصال العربى للبلدان الاوربية يرجع الى مفتتح القرن الرابع الهجرى والعاشر ميلادى حيث قام احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد بالرحلة المشهورة الى بلاد الترك ـ والخزر ـ والروس والصقالبة بناء على طلب ملك الصقالبة « المش بن يلطوار » الى امير المؤمنين « المقتدر بالله » المتوفى سنة 320 هـ وقد طبعت هذه الرحلة بدمشق سنة 1978 .

ج ـ من حيث المقامات :

الملاحظة الأولى :

ان اول ملاحظة لعالمية مقامات الموسيقى العربية تتمثل فى كون اسمائها وأسماء درجاتها الصوتية لا تزال تحمل اسماء عربية وفارسية وتركية وهى متداولة بتلكم الاسماء حتى الآن لدى كل البلاد العربية والتركية والفارسية واليونانية واليوغسلافية وجمهوريات آسيا الوسطى من مثل : اصفهان ـ اسم عاصمة فارس .

اسم مقام يكـاه ، اسم الدرجة الصوتية الاولى : سوزدل = محروق القلب اسم مقام همايون = مبارك اسم لطريقة مقام الحجاز ـ ساز = اسم لآلـة « البزق » وللموسيقى الآلية .

وموسيقى البلدان المذكورة مملوءة بمثل هذه الاسماء المشتركة .

الملاحظـة الثانيـــة :

هى ان الموسيقى العربية تشترك مع الموسيقى الغربية فى استعمـال مقامى الكبير « Majeur » والصغير Mineur حسبما يعبر عنهما فى الغرب من ذلك ان الكبير يوجد مركزا على عدة درجات فى البلاد العربيـة والشرقية التى اشرنا اليها سالفا ، وتراث هذه البلدان زاخر بالقطع الملحنة عليه ، فاذا ركز على درجة الراست Do عرف بالماهور ـ (وهى كلمة فارسية بمعنى الهلال) واذا ركز على درجة الجهاركاه Fa عـرف فى المشرق العـربى باسم هذه الدرجة وفى شمال افريقيا والاندلس يعرف باسم « المزموم » وقـد وردت هذه الكلمة فى جميع مخطوطات الموسيقى فى هذه البلدان وفى قصيد للامير الصنهاجى تميم بن المعز بن باديس حاكم افريقيا ما بين سنتى 454 ـ 501 هـ حيث يقول :

والطبل يخفق والمزامر حوله تتخالف العيدان فى « المزموم »

ويرد المقام الكبير مركزا على درجة العجم Si Bemol ويسمى حينئذ مقام عجم عشيران ، اما المقام « الصغير » Mineur فهو لا يقل اهمية عن الكبير بجميع البلدان المذكورة ويعرف باسماء عديدة حسب درجات ارتكازه من ذلك ـ نهاوند ـ واصفهان ، وساحلى وعشاق ومحير سيكاه ـ وبوسلك وسلطانى يكاه ـ وفرح فزا .

ولا يجوز لنا الادعاء بان اصل هذين المقامين عربى وانما المهم هو تداولهما فى أغلب بلدان العالم وهذا يؤكد عاليتهما بحيث يشكلان عنصر وحدة عالمية موسيقية .

الملاحظـة الثالـــة :

تتمثـل فى اشتمال المقامات العربية وخاصة منهـا المتداولـة فى المغـرب العـربى وفى اليمـن وامـارات الخليـج عـلى ذوات السلـم الخمـاسى وهى تشترك فيه مع بلدان افريقيا الزنجية والشرق الاقصى ولهـذه المقامات اسماء عربية تدل على نسبها ، ففى المغرب تعرف بـ « رصد كناوى » نسبة الى

« كانو » من اشهر بلدان نيجيريا ، وفي تونس تعرف « برصد عبيدى » نسبة الى العبيد الزنوج .

وهذا يثبت تغطية المقامات العربية لجهات كبرى من العالم وان هذه المقامات انتقلت الى القارة الامريكية مع الزنوج وتركزت عليها موسيقى « الجاز » و « البلوز » المعاصرة وما تفرع عنها .

وهذه المقامات ذوات السلم الخماسي تداخلت مع الانواع الاخرى وتولدت عنها مقامات جديدة اشتهرت بالخصوص في شمال افريقيا والاندلس واعطيت اسماء خاصة مثل مقامات « الذيل والعراق والنوى » وغيرها وكذلك في الجزيرة العربية من اقدم العهود ومن امثلتها مقام « البذج كاه » الذى يدل اسمه الفارسي المركب من كلمتي « بنج » بمعنى خمسة و « كاه » بمعنى صوت على خماسيته .

الملاحظة الرابعة :

تتعلق بنوع المقامات التي تشتمل فيما بين درجاتها على ابعاد صغيرة اقل من نصف الدرجة وهي خاصة الآن بالبلدان الشرقية وقد تقلص ظلها من الموسيقى الغربية بسبب اعتمادها على « البوليفونية » اى استعمال عدة اصوات في آن واحد ضحت من اجلها بما كان لديها من مقامات من هذا النوع ، واصبح الباحثون والمؤلفون للموسيقى المعاصرة في الغرب يشعرون بضيق المجال الذي اصبحت عليه موسيقاهم ويبحثون عن امكانية استرجاع هذه المقامات ولكن لا يمكنهم النجاح حيث ان الشعب اصبح لا يدرك استساغتها ولا ترن مع اوتار احساسه بينما نجدها شائعة ومتداولة من السينغال الى الهند الصينية .

ومن اشهر هذه المقامات ما يسمى بالسيكاه ، والبياتي ـ والراست ـ والحسين ـ والصبا ـ وراست الذيل ـ والحجاز ، وقد وضعت لدرجاتها المميزة عوارض وعلامات خاصة تختلف باختلاف الحضارات كانت محل جدال طويل في المؤتمر العالمي للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة سنة 1932 وقد اتفقت فيه البلدان العربية على علامات وضعت بالمناسبة وهذا العنصر يمثل اشتراك الموسيقى العربية مع موسيقى عدد هام من سكان المعمورة .

الملاحظة الخامسة :

هذه الملاحظة تتعلق باستعمال بعض البلدان التي اتصلت بالحضارة الاسلامية للمقامات السابق ذكرها استعمالا سيئا حيث عزفتها بالآت لا تؤدى

سوى الابعاد الكاملة وانصافها بينما تشتمل هذه المقامات على ما دون ذلك كما اسلفنــا .

ومن الملاحظ ايضا ان هذه الاساءة فى العزف ولدت مقامات جديدة رجعت للبلاد العربية والشرقية وادخلت ضمن تراثها واعطيت اسماء خاصة من ذلك :

1 ــ سوء استعمال مقام السيكاه فى اسبانيا الذى اصبح يرتكز على درجة مــــى Mi الطبيعية عوض المسلط عليها نصف خافظ Mi Demi Bemol فاصبح سلمها مغايرا تماما للمقام الاصلى ، وشاع هذا الاستعمال فى اسبانيا وفى امريكا اللاتينية من خلال نــوع الموسيقى والغنــاء المصحوبيــن بالرقص والمعروفين بالفلامنكو ــ وقد تولد عن هذا الاستعمال مقام جديد بالبلاد العربية والشرقية ركز على درجة الدوكاه Re وسمى « كرد » او « كردى » او كردلى » ثم ركز على درجة الراست Do وسمى « حجاز كــار كردى » او « كردلى حجازكار » .

سلم مقام السيكاه



استعمالــه الاسبــانى



سلـــم مقام كـــردى



سلم مقام الحجاز كار كردى



2 ــ سوء استعمال مقام الحجاز والشاهناز ــ لدى بلدان البلقان واسبانيا وقد تولد عنهما مقام الحجاز كار الذى نجده زاخرا بالتراث العربى وقد استعمله اغلب المؤلفين الغربيين عند تصويرهم للجو الشرقى من مثل « بيزا » الفرنسى و « فاردى » الايطالى و « رمسكى كرسكوف » السفياتى .

3 ــ سوء استعمال سلم مقام راست الذيل فى بلدان البلقان ولد سلما جديدا رجع للبلاد العربية والشرقية واعطى اسم « النكريز » ولحنت عليه البشارف والموشحات والقصائد .

وهذا يؤكد لنا مرة اخرى تفتح الثقافة العربية على الثقافات الاخــرى اخذا وعطاء . مع امعان النظر واستثمار حتى ما كانت له سلبية ظاهرية .

د ـ من حيث التراكيب والآلات :

ان اقدم وثيقة لتركيب الموسيقى تلك التى نقلها كتاب نفح الطيب للمقرى عن الموسيقار العربى على بن نافع ـ الملقب بزرياب الذى عاش بين القرنين الثانى والثالث هجرى الثامن والتاسع ميلادى حيث يقول : « انه كان يفتتح بالنشيد اول شدوه يليه ما كان على وزن البسيط ويختم بالمحركات بمعنى انه يبدا بما لم يصاحبه ايقاع يليه ما كان على وزن بطىء ويختم بما كان على اوزان سريعة محركة ـ وهذه الطريقة اتبعت فى النوبة المعروفة فى الاندلس والمغرب العربى ، وفى « الوصلة » المستعملة فى المشرق العربى وفى « الفاصل » التركى وفى الشش مقام « المتداول فى اوزباكستان » وغيرها من جمهوريات آسيا الوسطى وفى « الرقا » الهندى وانتقلت الى الغرب وطبقت فى السنفونيات .

اما ما يتعلق بالالآت فقد كان العود ابرز آلة حققت اشعاعا عربيا على مختلف البلاد الغربية والاسياوية ، يقول عنها صديقنا الباحث الاستاذ « تران فنكاى » ان اهل الشرق الاقصى يقولون ان هذه الآلة اتى لهم بها جماعة من اهل الصحراء ويجزم بان يكونوا من العرب وعلى كل فلهم الآت تشبه العود تماما وتسمى فى الصين باسم : « بيبا Pipa » وفى اليابان باسم « بيوا Byoua » وفى الفياتنام باسم « تيبا Teba » .

ومن المؤكد ان العود العربى انتقل الى اوربا عن طريق الاندلس ثم عن طريق الاتراك فى اواخر القرن الخامس عشر وشاع استعماله فى القرنين المواليين والف له جهابذة من الموسيقارين امثال بتروتشى من البندقية ، واتينيان من فرنسا ، وجون دولان من بريطانيا ، كما شاع فى المانيا مع مؤلفات باخ وفايس ، وهايدن .

ومن الالآت العربية التى كان لها اشعاع نذكر آلة الرباب التى توجد فى اشكال مختلفة فى البلاد العربية فهى لصاحبة الموسيقى الشعبية فى مصر والشام ولها دور هام فى المغرب العربى والاندلس فى آداء الموسيقى التقليدية المعروفة فى ليبيا وتونس « بالمالوف » وتحولت فى العراق الى آلة « الجوزة » واصبحت من اسس الفرق التقليدية المعروفة « بالتشالغى » وانتقلت هذه الآلة كما قلنا الى اوربا وقد كانت تصاحب المغنيين المعروفين بالتروبادور Troubadour والتروفار Trouvère الذين اشتهروا بفرنسا خلال

القرنين الثاني عشر والثالث عشر وكان الرباب يعرف لديهم باسم « ربـك » Rebec وتؤكد المراجع الغربية دخوله اوربا مع دخـول الجيش العـربي لجنوب فرنسا في القرن السابع ميلادى وقد تولد عـن الرباب فيما بعد آلـة الفيولـيـن Violine التى اخذت شكلها الحالي في القرن السادس عشر وتبنتها الموسيقى العربية وادخلتها الى الفرق بجانب الرباب اثناء القرن التاسع عشر واشتهر بعزفها فنانون عديدون في ذلك العهد امثال : انطوان شوا من حلب والد امير الكمان سامي شوا ، وابراهيم سهلـون بمصر ، وعـبد العزيز جميل بتونس والحاج العربي بن صارى بتلمسان وغيرهم .

ويمكننا ان نذكر من الالآت الموسيقية التى دخلت اوربا آلة النـاى الـتى تحولت في البلقان الى آلة « الكفال » Kaval ثـم الى مختلف انواع الفلوت وآلـة « الزرنة » التى تسمى في ليبيا والجزائر والمغرب « بالغيطة » ولا تزال محتفظة بهذا الاسم في اسبانيـا وتستعمل حـتى اليـوم في اوربـا الوسطى بشكلها الاصلى وقـد تطـورت الى الآلـة الاوركستراليـة المعروفـة بالهوبـوا Haut Bois وقائمة الالآت الموسيقية العربية المشعة طويلة تستوجب بحثا خاصا على اختلاف انواعها من وترية ونفخية وذات قوس وايقاعية والمهم هو ان الموسيقى العربية سجلت عنصرا ممتازا في بناء النهضة الموسيقية العالمية عبر التاريخ وعلى جيلنا الحاضر ان ينسج على منوال الاسلاف بـان يحاسب نفسه يوميا بماذا استفدت ، وماذا خلفت ؟

وبذلك يمكننا ان نبقى آثارنا في سجل التاريخ ونخلد كما خلد الاسلاف .

صالـح المهـدى

كلمات منثورة ...

بقلم : البشير المجدوب

نحن نعيش بغيرنا في غيرنا لغيرنا ، فأين المفر !؟

***

« تأصيلا للكيان » !

ليس كثيرا أن تنفق العمر كله بحثا عن الجذور تحسسا للذات الحق استردادا لانسانيتك السليبة .

فقد طالما نبذ الأصل وأنكر الروح ولطالما مسخت الذات وطمست الآداب والتقاليد حتى كان لا شخصية البتة وكأن قد أضحى الوجه المستعار عين الصبغة الاولى ضياعا واغترابا !

هجناء أشد تيها من الاحرار وصلفا ولو قد فطنا لعاهتنا وأبصرنا مقدار سماجتنا وسخفنا لتنصلنا من ذواتنا ذعرا وخزيا .

***

الظرف خروج عن متعارف الاوضاع والتقاليد ، وتحد سافر للجماعة برضى الجماعة امتثالا لداعي الحياة ... تعشقا للحرية واذعانا لسحر الفن ، وكأن لسان حالها يقول لبعض المتازين من فتيانها مزكية تمرده مباركة لشذوذه تجاوبا معه واتحادا : « كن ظريفا وافعل ما شئت ! » .

***

لا تواجه اللؤم باللؤم فتكون من أهله !

***

ما علة لهج النفس بالأخضر والأزرق دون سائر ألوان الطبيعة إن لم يكن ذاك لاتصالهما الحميم بالماء .. قوام الحياة وسر نضارتها وروعتها !؟

على أن الأزرق ثنائي الطينة مشترك النسب معلق بين الأرض والسماء ...

***

العرى ! العرى يكتسحنا .. يحاصرنا في كل مكان من هذه الشواطىء ؛ ففي كل لفتة وعند كل لمحة دعوة صريحة من كل جسم اليك .. نداء حثيث قاهر الى الوقاع .

وكأن كل أنثى حواليك هدية تزف من الطبيعة اليك مجانا !

***

أنت مفرد غريب شاذ معته ، غيرك يعمل ليعيش ويكسب وأنت تفنى العمر لتلذ الكدح والجهد وتنعم بالحذق والاتقان .

***

الظلم يهدم نفسه بنفسه ... سر زواله فيه !

***

أنا كلا شيء ... أنا لا شيء دون أخي الانسان .

البشير المجدوب

لمحتـــان ..

شعر : رياض المرزوقي

« وركوب العاصفة الهوجاء .. نجاة ! »
د. م.

I ـ كـــلام :

من يهرب من بلل القطرة ..
يغرقه الطوفان .
وزهيرة حزن واحدة ..
لا تحجب غابة أحزان .
الفارس ما كان الجالس فوق الربوة..
الفارس في الميدان .
ما عاني حقا من ذرف ..
دمع التمساح على لبنان .
ما عاني حقا من ذوب ..
مأساة الانسان ..
مثل السكر في الفنجان .
ما كان من اختار الألفاظ ..
وزخرف في الأشعار ..
الألوان .

II ـ طيف نور :

خرج العصفور الأبيض
من عش أسود ،
يبحث عن حظ أخضر ،
كاللبن الأبيض
في كون أسود .
لكن الحظ القزحي
في ذاك اليوم الأغبر
قد وشحه بالأحمر ..
فتهاوى كحنين ..
في سن العشرين !

رياض المرزوقي
جانفي 80

حديث اليقين

لوحة : أحمد المرويني

« الشك طريق الى اليقين » (الجاحظ)

« هو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »
(سورة الملك)

« آمنت بنور قذفه الله فى صدرى » (الغـزالى)

نقـل عن المكـى قولـه :

« عاش الجنيد عابدا فى النور والظلمـة ، حامدا فـى اللين والشـدة ، ما أطاع شيطانا ولا طمع فى زيـف .. كان قبـل التوكؤ يتلـو عـلى المـوتى القرآن ويحفظه الصبيان ، فاذا انصرفوا انغمس فى الكتب الصفراء يطالعها أو فى ختمة أحدهم يزينها بألوان كالفردوس فيتذكر انشادهم قبيل عاشوراء « مؤدبنا فى الجنة ونحن به محيطـون » فتطرب نفســه ويغمض عينيه تخيـلا وانتشـاء .

روى أن حرمه حكـت :

« زارنى بعد وفاته مناما فسألته عـن الغيب فأجاب : « مت كما نمـت ، فلم أفتن فى القبـر ، ولم يظلم علـى ، ومكثت فى البررخ مـع الصالحين يسألوننى عن فلانة « من تزوجت ؟ » و فلان « كيف حاله ؟ » فأجيب .

علمت بالزلزلة تقع يوم تدك الجبال وتفجر البحار وينفخ فى الصور فنخرج من

القبور كأن لم نمكث فيها طوال القرون ، يومئذ يصرخ الكافرون : « يا ويلنا من صيحة الحق . إنا بما أنكرنا مؤمنون » فيرد عليهم : « اليوم ننساكم كما نسيتم يومكم هذا ، اليوم تجزون بما كنتم تفترون .. أفحسبتم أنا خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » ، ويعرض الخلق على الصراط الطويل لتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وفروجهم بما كانوا يرتكبون .

فأما من ثقلت سيئاتهم فيساقون الى الهاوية الحامية زمـرا خاسئين فـاذا سمعوا زفيرها ولفحهم لهيبها استغاثوا باكين : « ربنا غلبتنا شقوتنا وكنا ضالين اذ غوانا الشياطين ربنا ارحمنا انا من التائبين فيجابـون : « ان الله لا يقبـل توبة من ماتوا مشركين » الى الحطمة يدفعهم خزنتها ضربا وتنكيلا ، لهم فيها كى وغسلين وخزي وعذاب أليم، فيها يسبحون على وجوههم متخاصمين مستنجدين: أن ربنا اجعل لنا كرة فتكون من المؤمنين ، فما يزيدهم المنتقـم الا سعيـرا ، وظلاما وضيقا ، انهم عتوا عتوا كبيرا وكانوا بآيات الخالق يستهزئون وعلى الصالحين يتغامزون وبما مكنهم القوى من سلطان يظلمون .

وأما من ثقلت حسناتهم فسعداء في جنات النعيم خالدين فيها مـا شاء الله جزاء بما كانوا يدخرون ، تراهم مستبشرين على الأرائك متكئين وأزواجهم فى ظلال الروح عليهم حلل قز زرق وحلى من ذهب خالص وجوهر لامع ، ولهم فيها أطعمة لذيذة واشربة صافية وأنهار دافقة وبرك واسعة ومتـع لا يماثلها زيف العاجلة ، أعدت للمتقين الشاكرين فى السراء والضراء الحامديـن الله الذى نزع من صدورهم الغـل وأزال عنهم الحزن فـلا يمسهم نصب ولا لغـوب ولا يسمعون لغوا الا سلاما » .. وأما مـن زل فبمغفرة أو عقاب الـى حيـن » .

وأضافت :

« ثم انى سألت الجنيد عن المحلج والمعتزل والمعتوه والمغزل ببشرنى بأن لهم عند الله مقعد صدق عليا ، ان العقـلاء فى منازل الأنبيـاء ، أحـرار فيما يفكرون ، ان الصانع يحب من عباده الناظرين المتطلعين .. »

سيقول الظاهريون انا مقلدون للكلام الأصيل ، ما نحن للآثار متبعـون وما فى التضمين من نشاز ، ان هو الا قول صادق يوقن به كل عارف .

أحمد الحمروني

حياة مجلة الفكر

بقلم : محمد الشعبوني

عرفت (*) الاستاذ محمد مزالي من خلال ما كنت اقرأ له بالمجلات والصحف حتى ظهر كتابه الديمقراطية 1955 . فازددت يقينا بأن لهذا الرجل ما يبوئه لان يكون رائد الفكر بحق ثم عرفته مسؤولا بوزارة التربية وكان قبل ذلك قد اصدر مجلته (الفكر 1955) تفصح عن الامال المعلقة عليه . وتظهر عنايته الفائقة بخدمة الادب التونسي والفكر العربي من خلال افتتاحياته لهذه المجلة التي اصبحت مجموعة فيما بعد بكتبه من (وحي الفكر 1969) و (وجهات نظر 1975) و (دروب الفكر 1979) واعجبت بتدبيره المحكم وتخطيطه الفائق ليجعل من الفكر مجلة رائدة تصمد امام الزمان وازددت تعلقا بالاستاذ مزالي عندما التقينا بمؤتمر أدباء العرب الرابع بالكويت 1958 وكانت مواقفه معروفة جريئة حيث ساهم بأكبر قسط من نشاط أعضاء الوفد التونسي . وعدنا من الكويت واذا بالاستاذ مزالي بدا يتدرج فى المسؤوليات الحكومية فى الشباب والرياضة والاذاعة والتلفزة والتربية القومية والدفاع والصحة فالتربية الى ان أصبح اليوم الوزير الاول ، الى جانب اضطلاعه بمسؤوليات كبرى فى نطاق الرياضة واتحاد الكتاب . ورغم وفرة نشاطه فقد اصدر بعد الديمقراطية 1955 (من وحي الفكر 1969) و (مواقف 1973) و (وجهات نظر 1975) و (دراسات 1974) و (في دروب الفكر 1979) وبالمعية (المعمرون الفرنسيون) و (حركة الشباب التونسي وتاريخ افريقيا الشمالية 1968) .

أما مجلة الفكر التي اعطاها من وقته الشيء الكثير فقد كان همه منصبا أولا فى ان يراها مستمرة الصدور مواضبة فى حضورها كل شهر تصافح قراءها بافتتاحياته وتوجيهاته .

ولما حاول بعضهم المس من هيبة الفكر بدعوى انها نشرت تجربة أدبية غير لائقة تصدى صاحب الفكر للمناورين وأكد ان الفكر عربية اسلامية الى

(*) هذه مقتطفات من مقال طويل كتبه الشاعر محمد الشعبوني اقتصرنا على ايراد صفحات منه .

الابد وانها تحترم كل من يريد ان ينشر تجربة مثل من يريد ان ينقد تلك التجربة وان لم تصادق على هذا او ذاك وبذلك نالت الفكر رضا الجميع واصبحت بحق رابطة الاجيال ومرآة الفكر التونسي الحديث بما قدمته من دراسات حول شخصيات أدبية وما نشرته من تحقيق وما اعدته من ملفات جعلتها مرجعا حيا ووثيقة صادقة لأدب هذا الجيل . فنقرأ فى صفحة (الى القارىء) كلمة المجلة كل شهر وهى بقلم صاحبها غالبا وقد يشارك معه رئيس تحريرها الاستاذ البشير بن سلامة الذى ترأس تحريرها بصورة فعلية فى الستينات . ونقرأ فى باب (مطالعات) عرضا شهريا لاحد الكتب يقدمه أديب تونسي بالمداولة وهناك باب (أصداء الفكر) يجمع الانباء الثقافية وأهم النشاطات الفكرية هنا وهناك و (بريد الفكر) وفيه ردود قيمة وتوجيهات سديدة لمن يراسل المجلة من الشباب فتنير امامه الطريق وتفتح له الصدر بالاضافة الى المباحث والقصص والقصائد التى لا يخلو منها عدد من اعداد المجلة ، اما الاعداد الممتازة فرغم كثرتها وتنويع مادتها فانها اتحفت قراء العربية فى كل ميدان بما وجد فيها من غزارة المادة وصدق اللهجة وشمول المواضيع وهكذا تجمع الفكر بين المقال الجيد والحكمة السديدة والدراسة الممتعة والتصوير الأدبي الممتاز والبحوث الادبية الرفيعة ونفائس الشعر وانتاج الشباب من قصة وشعر مع أبواب النقد والاستعراض واخبار الفكر والاهتمام بالقضايا التحررية واعلام الأدب بالمشرق والمغرب فكانت الفكر بذلك صعيدا لتلاقى افكار الشيوخ والكهول والشباب . وتقرأ فى الممتاز من اعدادها حديثا عن الثورة الكبرى والثورة الجزائرية وقضية فلسطين والشعر فى تونس وهواة الادب والنقد ومؤتمر الادباء وعكاظية عيد ميلاد الرئيس وذكرى انبعاث الحزب 25 سنة من الاستقلال . والقصة والمسرح وحياة اللغة العربية كما قدمت من الشخصيات اعلاما بارزين أمثال ابن خلدون والمتنبى وابن رشيق والمسعدى والكبادى والشابى ومصطفى خريف وغيرهم كما اهتمت بتقديم دراسات عن المغرب وايران وما زالت الفكر فى طريقها سائرة مؤمنة بأن رسالتها لا تنتهى حتى تعيد للعروبة ولتونس مكانتها الادبية فى العالمين .

ومن الدراسات الجيدة ما جاء بعنوان : الادب الشعبى والشعر الملحون والادب التونسي يؤدى رسالته والتجدد والتجديد ومقومات الشخصية التونسية ودور الثقافة فى تنمية الانسان وحول فن القصة فى كليلة ودمنة وذكرى شوقي وطبيعة اللغة العربية ورجال الاصلاح بتونس والمتاحف ودورها الثقافى واثر ابن خلدون فى النهضة

الفكرية وتاريخ بناء القرويين وأضواء على القصة التونسية المعاصرة والامومة فى الشريعة والادباء والاصالة فى الادب .

وقد ساهمت جهة صفاقس فى تحرير الفكر بما كتبه بعض ابنائها من بحوث ودراسات وقصائد كالاخوان مصطفى الفارسي ومحمد محفوظ وأبى بكر عبد الكافي ومحمد الشعبوني ومصطفى الحبيب بحرى ومحمد لندة وعبد السلام المسدى وعبد العزيز طريفة وغيرهم من رجال الفكر والأدب .

وقد تناولت المجلة بالحديث حياة مجموعة من العلماء والمفكرين ورجال الصحافة زيادة عما ذكرنا كأمثال : أبى الحسن الكراى ، وابن حمديس ، وقبادو ، وأحمد حسين المهيرى ، وابن خلدون ، وابن باديس ، والحصرى ، والتوحيدى ، وحسن حسنى عبد الوهاب ، وسعيد أبو بكر ، وطه حسين ، ومحمد البشروش ، ومحمد فريد غازى ، ومحمد اقبال ، ومحمد الحليوى ، ومحمود السيالة ، وعلى البلهوان ، والهادى العامرى ، وحشاد ، والطاهر الحداد ، ومحمود بيرم ، وعطاء الله ، وبوشربية ، ومحمد بوشوشة ، وجعفر ماجد .

اما عن افتتاحيات الفكر فقد حصرها الكاتب فى كتابه (من وحى الفكر) و (وجهات نظر) و (فى دروب الفكر) تحت العناوين الآتية ففيما يخص (وحى الفكر) كانت العناوين :

1 ــ فى سبيل الوطن ــ فى سبيل المغرب العربى ــ مع الثورة الجزائرية ــ شخصيات تونسية ــ قضايا ومواقف ــ فى التعليم والتربية ــ شؤون الثقافة ــ فنون الادب ــ منهاج الفكر .

2 ــ وفيما يتعلق بدروب الفكر فقد كانت المواضيع تدور حول : الشابى ــ صلب الموضوع ــ الايمان بالاختيار ــ حرية المرأة وحرية الرجل ــ آفاق العمل العربى الافريقى ــ العرب والعلم والرقى الحق ــ بين الحق والوعى ــ حتى انتم أيها ألشبان التقدميون ــ تحية الى الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ــ نحو مستقبل أفضل ــ حول حوار الحضارات ــ حتى يكون التوقع أكبر من الواقع ــ لنعتبر بما يقولونه عن أنفسهم ــ وظلم ذوى القربى ــ التضامن بين البشر ــ الغد نحن نصنعه لا ننتظره ــ السلطة الرمانسية .

3 ــ وفى وجهات النظر تناول بالحديث قضايا هامة منها : احياء التاريخ وأساس الديمقراطية ولا وصاية على الأدب والادباء والصهيونية الفاشلة

وشعور الطلبة بمسؤولياتهم . وكيف نقاوم التخلف وانتصار الانسان والتونسية وفاء للذات وواجب رجال التعليم وفى التونسة والتعريب ومع المؤتمر الثانى للحزب واقرأ وعلى هامش زيارة الى اليابان ، وتحية الى الادباء العرب ، ومن عبر 2 مارس 1934 ومسؤولية النخبة ، والعبرة من عيد النصر والسنة العالمية للشباب .

* * *

هذه هى الملامح العامة لمحتويات مجلة الفكر التى تحمل افتتاحياتها عنوان (إلى القارىء) وتليها دراسات وبحوث مختلفة فى الادب والفن والتاريخ . كما يجد بها القارىء لوحات شعرية مشرفة الى جانب باب القصة والمطالعات والبريد والاصداء والردود السريعة ولما بلغت المجلة عقدين من عمرها راسلتها وأنا طريح الفراش بفرنسا بهذه الابيات تحية لذكراها :

يا صاحب الفكر عش يا صاحب الفكر	والفكر حي طليق خالد الذكر
عشرون عاما مضت والفكر منطلق	تحدو مسيرته روح من الطهر
أفديك يا فكر فى سرى وفى علنى	أفديك بالروح والغالى من العمر
(أفدى) (محمدنا) وهو الوفى لنا	بكل شيء عزيز عز فى الدهر
لو كنت أقدر صغت اليوم ملحمة	أحكي بها قصة الايمان والصبر
لكنه القدر الجبار قيدني	ورغم قيده لم اخضع الى الاسر
خذها من القلب والايام سائرة	تحية الصدق والاخلاص والشعر
خذها (محمد) والعشرون ماضية	باقات زهر ندى خالص العطر
ان عشت للعيد عيد الاربعين فمن	سواى يكتب للاجيال فى فخر
ويرفع الصوت معتزا ومفتخرا	يا صاحب الفكر عش يا صاحب الفكر

محمد الشعبوني

المجلة التونسية لعلوم التربية

وصلنا العدد 9 س 6 من المجلة التونسية لعلوم التربية التى يصدرها المعهد القومى لعلوم التربية بتونس . ويديرها الاستاذ المنجى الشملى . والمجلة مفتوحة لكل الباحثين فى مختلف العلوم المتعلقة بالمشاكل التربوية ممن يكتبون باللغة العربية أو الفرنسية .

نرجو للزميلة تواصل هذا الجهد المفيد مكللا بالنجاح والجدوى .

لندن ...

شعر : آدم فتحي

هيَّا حياةَ العِزّ طال تشوّقي لغدي
إنّي أموت على طوايَ ولا أمُدّ يدي
وتَهُزّني الأرياح : مِل لمّا نهُبّ
ستنال منّا ما تُريدُ ومما تحبُّ
هيهاتَ لي عُودٌ متينُ الجذْعِ صانبُ
لا ينحني وإذا انحنى
فلمثل آلامي أنا

* * *

لندنْ كأنكَ راعيهْ
أوخرقة ملفوفة في واحة أو ساقيهْ
أوصفعة وقفت تدندن في الدروب الخاليهْ

* * *

لندن احبك باكيهْ
«كربيع أيّامي الحزينْ»
وأنا الذي ضيّعتُ في حضن السنين مراكبي
أبني موانىء من حكايات وتيهْ
وألُمّ أوراق الخريف لكيْ يفتّتَها معي

مــاذا يُـكَـفْـكِـفُ أدمــُعِي
وأنـا الـذي سافـرتُ مـــن وجـَعـِي وَفـِيـهْ
أنذا تـمـَزّقَ لِيِ الشـــراعْ
وغـرِقْتُ فـيِ بـحـرِ الـضياعْ
وتَـعِبْتُ من هذا الصراعِ تَعِبْتُ من هـذا الصراعْ
لا يـــا غـــــدى !
لا يـــا ســـرابْ !
حتّـام أبحر فيِ الضبـابْ ؟
وتـظلّ تُـخْـلِـفُ مـوعـدى
أنـا لستُ أسـمـح للـرياح بـأن تُـغَـيِّـرَ مَـقـصدى

* * *

وهناك فيِ القفْـرِ المُـعـلَّـقِ بين أهـداب الحـديـقـهْ
تَـعْـمَى العـيون بـما تَرى
وتنـام منْـكَ الصحْـوِ في جَـفْـن الـكَـرى
وأظل وحدي في مسافـات الحـنينْ
قـلـبي يُـريق على الـثـرى دمـَهُ مخافَـةَ أن يُـريـقَـهْ
ويـمـوت ينظر للسماء كأنـها ستبلّ ريـقَـهْ

* * *

لنـــدنْ بمـاذا تحلمينْ
بـالنهـر يُغرِقُـنـا ويَـغْـرَقُ فيِ الدخان وفيِ الأنـينْ
أم بـالـشوارع وهيِ فيِ عـزّ الألـقْ
عيناىِ تـنْقُـصُهَـا ويَـنْقُـصُـهَـا التوَهُّج والأفُـقْ

* * *

لنـــدنْ بمـاذا تحلُـمِيـــن ....

وهناك لي وطنٌ أنــا أيــضًا
هناك وراء هاتيك المواويل البعيدهْ
وطني يُــرَتِّــلُــني قصيدهْ
ويظلّ في الميناء يَرْقُبُني وينْتَظِرُ للمصابيح الجديدهْ
ماذا يُسَمِّرُني هنا ... وأنا الرحيلْ
في كلّ أرضٍ للغريب غدٌ ... ولي مـاضٍ طويلْ
مــاذا يُسَمِّــرُني هــنا ....
وأنا بأحزاني أطَوِّفُ .. سندبادٌ في دمي
مـا قُمْتُ إلاّ أرْتمي
وأضيعُ عن وطني .. وعن قدري .. وعن سرّي الدفين

* * *

لنــدن بماذا تحلمين
وأنا لديك أضيعُ في المترو وأغْرَقُ في الضبابْ
وأدُقّ كالمجنون بابًا تلوَ بابْ
يـا ليتني لم اتِ يـا لنــدن ولم أخطىءْ سمائي
أقبلْتُ أبْحَثُ عن ربيع .... قد تركْتُ ورائي

* * *

لا تبْكِ يا وطني
غـدًا رؤياكِ من آثار أقدامي ستبْنيها
وتَكْسِرُ هذه الأصنام ترميها هنا
أو مثل أشلائي تواريها
غدًا غيري ينادم أرضك الحرّى بعطشاني
ويكسوهــا بــعــرْيــانــي
ولا يَنْفَكّ يذكُرُها وينسانــي

فلا تحزنَنْكَ يا وطني جراحاتي وحرماني
أنا يكفي ضلوعي ... أنتُكُمْ فيها
غداً كلّ الجراح تنام ثانية وترتاح
وإن لم تلقني قد عدت يا وطني
فقد عادوُا كما راحوا
غداً تنسى
ويزهرُ تحتك المرسى
وتجري في مسارب وجهك الزاهي
حكاياتٌ و ألوانُ
فلا تهتمّ إن فرحُوا ولم أفرحْ
وإن جرّحوا خدودَ الامس في مَرَحٍ ولم أجْرَحْ
أنا القلبُ الذي يبني الثنايا .. وهو كسحانُ

* * *

ولا تسألْ
لماذا غاب عن نغمي الندَى
وعلامَ لم تصْحُ الدروب وظلّ يغلبُني الصدى
الكلّ من قشّ يسافر حاملا معه حريقَهْ
ويظلّ يبدأُ ينتهي كالنحلِ ممتصًا رحيقه
ويموتُ في يَدِهِ السدى .. وتموت في يدِهِ الحقيقهْ

* * *

لندن تسكّعني
تضمّدني وتوجعني
تضيّعني
وآهاتي مواويلٌ تمشّيني

وتُرْجعني
آنا كالسائح الناسي مواعيدهْ
آدقّ على زجاج النافذهْ
دقّاً يصدّعُني
و يرميني إلى أرض بعيدهْ

* * *

صُورتي مزّقْتُها
ونشرتُ أوراقي
أموتُ أكسِّرُ الدنيا بأحداقي
أنا شيءٌ من الاعماق
شيءٌ طار فوق الحبّ والإشراق
ثمّ انهار مقطوع اليدينْ
يا قلبُ أين نحُطّ أينْ
كلّ السطوح هنا عميقهْ

آدم فتحي

الخطر الصهيوني

هذا عنوان كتاب جديد للدكتور محمد فاضل الجمالى يضم 18 عنوانا ومن الملاحظ أن هذه هى الطبيعة الثانية وقد أصدرتها دار بوسلامة للطباعة والنشر 110 صفحة من القطع المتوسط .

وقد أهدانا الدكتور محمد فاضل الجمالى نسخة من كتابه هذا نشكره ونتمنى له مزيد الانتاج ووافر الصحة حتى يواصل عمله .

مجلة « الفكر » والشعر العربي

بقلم: الشاذلي الشاكر

1 ـ « الفكر » تفجر الشعر التونسي :

بزغت مجلة الفكر ببزوغ الاستقلال وكان همها اشعاع فكر مستقل له طابع تونسي ، تكون الاصالة فيه غير منفصلة عن التفتح ويكون اللون المحلي فيه منصهرا مع بقية الالوان المحلية العربية ليكونوا جميعا قوس قزح يلف الساحة العربية من خليجها الى المحيط .

اخذ الشعر حقه من اهتمامات هذه المجلة فخصصت له خمس مساحتها تقريبا بصفة منتظمة ومنظمة رافعة عنه كل القيود . وقد وسعت هذه المساحة جل الشعراء التونسيين وكانت منبرا مفتوحا لهم على مسافة عشرة أشهر من كل سنة ولربع قرن تتجمع عندها الاجيال وتفترق وتظهر الاسماء محتشمة فى « البريد » وبعد فترة تطول او تقصر تتجذر وتظهر على الغلاف الخارجي الامامي او تجتث . ويتداول على التحرير فيها الجد والابن والحفيد .

فسحت المجال لكل انماط الشعر الموزون ، والحر الجديد . وفي غير العمودي والحر والنثر الشعري وحتى الكلمات المقفاة شريطة ان يكون كل ذلك محتفظا او متحفظا على مضمون فني ومتشبعا باحساس وبجو ومتخذا لموقف واضح ومحدد ـ اذا امكن جديد ـ . ان ينطلق الشاعر بوعى كاف من مخطط لرؤية عن الكون والانسان نابعة من كيانه ومن احساسه مهما كانت هذه الرؤية بسيطة (لا سطحية) . وان تكون هذه الرؤية متشبعة ومشحونة بعاطفة حقيقية (كشكل) . وقد تقلصت هذه المساحة بالنسبة لشعر المناسبات الاجتماعية والسياسية الا الذى ارتبط بالوطنية ، لان مثل هذا الانتاج التطوعى او بالتكليف تتسلط عليه العواطفية والتطرف الزخرفي والتكليفية الترسيمية وينتهى بانتهاء مناسبته .

من الاجحاف ان نقول : ان « الفكر » كانت دائما تواكب الطليعة ، بل انها هى التى توجد الطليعة ثم تواكبها وتطورها وتطوع لها القارىء الى ان تترسخ بينما غيرها لا تفتح المجال الا للراسخين فى الشعر لكى لا نقول

لمحترفيه . ونحن نعتقد ان اخطر دور لعبته « الفكر » يتمثل في خلقها لما يسمى بالتربية الجمالية عند شعرائها وهذا يتمثل في :

1 ـ القدرة على التعبير الجمالي المستقل
2 ـ التذوق الاحساسي الجمالي الصافي
3 ـ الحكم والتقدير والقياس .

2 ـ « الفكر » توحد مضامين الشعر التونسي رغم تفرد الشعراء :

تركت مجلة الفكر وعلى الدوام لكل شاعر استقلاليته في اختيار وسائطه الفنية للتعبير والتبليغ وفسحت المجال حتى لمن ارتد أو تمرد على وسائطه لكن دون السماح بالسقوط في الفوضى أو الانتباس أو الانسلاخ أو التذبذب أو المسخ . لم تحدد ـ لا تلميحا ولا جهارا ـ مضامين أو اشكالا بعينها كما هو بالنسبة لبقية المجلات ، بل بالعكس قاومت كل ما يفقد الشاعر ظله او يكون له عدة ظلال . وقاومت كل شاعر لا يلتزم بخصوصياته الابداعية الطبيعية التي تحتمها عليه سماته المزاجية الشخصية وقدراته العقلية واطره البيئة والاجتماعية . لكن بالرغم من كل ذلك ورغم ممارسة الشاعر لاستقلاليته وشعوره بذلك خلال عمليات التكوين الفني واتساع رقعة اختياراته لاشكاله ورغم الاختلافات المتعددة في المفاهيم ، والتفردية في الشكل والمضامين ـ بالاخص البكر ـ مما يكسب بعض الاعمال خصائص لها من الطبيعة القوية ما يخول لها الافلات والتفرد ، نجد ان مجموع هذه الاعمال تتحرك في وحدة واحدة قصدتها الفكر ـ وهنا جهارا ـ لايجاد مدرسة شعرية تونسية تستجيب للواقع التونسي بحلوه ومره ، عازلة بدون رجعة كل عناصره الآبدة الجاثمة لكنها غير منفصلة عن المسار الفحل للحركة الشعرية العربية .

ونحوصل ما بسطناه فنقول : انه بالرغم من ان تكوينات جمهرة شعراء «الفكر» متباينة المنطلق والمنطق الا انها جماعيا متينة الصلة ببعضها البعض أو قل متمحورة على بعضها البعض . وان كل الشعراء الذين عبروا او واصلوا المسيرة لم تنفصل مواقفهم موضوعا وهدفا وان اختلفت او حتى تباينت مضمونا وشكلا . وسندلل على ما سقناه بمثالين يخصان مضامين الشعر العاطفي والوطني المنشورة بالمجلة على امتدادها .

اما بالنسبة للشعر العاطفي فرغم تعدد من كتبوا فيه فان قواسمه المشتركة تبقى عفوية وغير متكلفة ، فالقصيد عند الكل يولد بسهولة فائقة ، دفقا ، راشدا ، شكله غير مفتعل وان كان الاعتناء به اكثر من الاعتناء بالمضمون . تغلب عليه الصيغة السردية وطابع الحزن والوحشة وفي بعض الاحيان الكآبة ـ كآبة الاحلام ـ لكن ابدا الانغلاق والتشاؤم والاختناق اي الطابع

المأسوى . صوره واضحة وبسيطة وقليلة لكن لا بهرج يثقلها ولا زخارف ذات الوان قاسية ــ وان كانت هذه الالوان رمادية فى اغلب الاحيان ــ وهذا الشعر تغلب عليه الوجدانيات الذاتية . ولا نجد فكرة أما تسيطر عليه ولا محاور ئيسية فأغراضه قليلة ــ غربة روحية وغربة مكانية حضارية ــ لكن فيها من الالهام الكثير . لا نعثر على الرديء المخل لكننا نادرا ما نعثر على الروائــع . وهــذا الشعر يخاطب العموم وقارؤه يتقلبه كسيال موسيقى حزين ولطيف لا كحزمة من الموسيقى الصائحة الصاخبة الكثيفة التى تهز وتطحن .

هذا الشعر يشد القارىء بدون ان يبهره او يخدره ، يتسلل اليه كخيــط ماء ... لا يجرفه كسيل منحدر . وبدون عناء يحس قارؤه بمذاق مر ومرير في الآن الواحد للغربتين ، الروحية والمكانية الحضارية ، الكامنتين فــى اعــمــق اعماق الشاعر . وهذا الاحساس المزدوج او المتوازى لا يزول ولا يخبو بل يظل مع القارىء فترة زمنية ينعشه ويملؤه طمأنينة ووداعة .

وبالنسبة للشعر الوطنى ورغم تفرق ايديلوجياته وكثرة تشيعاته وانتماءاته فانه كان دوما متأثرا بقضايا الامة العربية واعمــق وعيــا بهمومهــا واصلب تمسكا بطموحاتها المشروعة . وقد اعتبر ان دوره من الحتمى ان يكون ضمن اوضاع شعبه وبالتالى ليس له ان يتصور هدفا اقل من الطموح الانسانى الذى يشد شعوب امته المستضعفة المتناصرة بعضها الى بعض لكى تحقق منــزلتها الانسانية وتأصل كيانها . وكان ديدنه الاكبر هو التصدى ــ وبدراية ــ لمختلف انماط الصراع ضد الاستعمار الجديد الذى اقتلع شعبا آمنا وزرع مكانه اغرابا هجناء من الصهاينة . وقد تعاطف دوما مع اتجاهات التحرر الانسانى بمناهضة كل الوان التسلط البغيض الذى تمارسه القوى العالمية المتمكنة وهو دوما فى مساندة نضال الشعوب المقهورة المدحورة والعاملة لاسترداد ما تفتقده او قل ما فقدته من الكرامة وهو دوما يتغنى بالانتصارات الشرعية فى اية رقعة من الارض تحققت . وهو دوما ضد شراسة العصر بمضارباته وتعفناته وحــروبه المعلنة والمستترة وهو دوما يندد بالانسان آكل لحم الانسان .

من المثالين المذكورين نستنتج : اولا بالنسبة للشعر العاطفى رغم مشاربــه المتعددة فانه يعطينا فكرة واحدة واقعية وواضحة عن الحب فى بلادنا وبالتالى عن بلدنا تونس من تلقائية ووداعة ولطف وكآبة وبساطة وتفاؤل اى خصائص اللون الاخضر . وثانية بالنسبة للشعر الوطنى فبالرغم من جبهاته المتعــددة فان معركته واحدة وهى نفس المعركة التى يخوضها الشعر العربى المعاصر . وهذا ما قصدته « الفكر » منذ البداية .

3 ـ « الفكر » ترتفع بالشعر التونسي الى آفاق أرحب :

لقد رسمت «الفكر» ومنذ تأسست سبيلا عسيرا بواسطته انبثق الشعر التونسي ـ بعد ان اصبح مدرسة ذكرنا البعض من خصوصياتها ـ من الاطر التونسية التي اصبحت ضيقة عليه الى آفاق ارحب وتمطط نحو كل زاوية ـ مهما كانت حادة ـ من زوايا مساحة الساحة العربية . وهذه اول محاولة من نوعها لان المحاولات التي قدمتها ـ العالم الادبي ، والمباحث ـ كانت تكيفها الوطنية اكثر من القومية وترهب التفتح الذي معناه بالنسبة لها الاحتواء او حتى الخيانة ـ وهي معذورة نظرا للمرحلة الحضارية التي كانت تضارعها ـ .

وهذه المدرسة الشعرية المستقلة التونسية هي وليدة مجلة «الفكر» . فشعراؤنا كانوا ينطلقون من حيث ينتهي شعراء المشرق لكي ينعتوا بالاصالة من ناحية ولكي يتمكنوا من النشر في المجلات العربية من ناحية ثانية واخيرا لانهم لا يفرقون بين المنظور الوطني التونسي والمنظور القومي العربي الاسلامي ، فهم يعتقدون انهم مجرد امتداد لكل شعراء العربية الذين سبقوهم (وهذا عكس نظرة المجلات المذكورة وهنا يكمن التضارب لا الجدلية بين المجلات التونسية والشعراء) وبفضل «الفكر» دخل شعراؤنا مرحلة التثوير والابتكار والتطوير في المضمون وفي الشكل وكفوا عن استعارة تجارب الغير الجاهزة لكنها ملبوسة ولم يعودوا مجرد الظل والصدى والانعكاس .

واصبحت «الفكر» هي مرجعهم الاول . ولرسم هذا السبيل حفرت «الفكر» بأظافر دامية ارضا جرداء سوداء صلدة واقتلعت حجارتها الواحدة بعد الاخرى باصرار وعناد . وهذه الحجارة كانت متمثلة :

1 ـ في القطيعة الترابية والتاريخية والاقتصادية التي رصها او رصفها الاستعمار عشرات العشريات حتى ان احدهم وهو الملقب بعميد الادب العربي كان يقول بافريقيا الشمالية الفرنسية ، وحتى ان اغلبهم كان لا يشك في اننا نتخاطب بالفرنسية حتى في منازلنا (*) .

2 ـ في النظرة الفوقية المفتعلة المتجاهلة وبكلمة أدق المتعالية التي كان يرمق بها المشرق العربي امتداده المغرب العربي معتبرا اياه المستهلك الطفيلي العقيم وهذه النعرة القبلية الضيقة المزروعة على امتداد المشرق العربي جعلته

(*) الحقيقة هو أن الرئيس الحبيب بورقيبة عندما كان في مصر بعد هجرته من تونس التقى بفقيد الادب العربي طه حسين وهو اذذاك وزير التعليم واحتج لديه لما وجده في الكتب الرسمية المصرية المعدة للتلامذة من عبارة تخدش بمشاعر التونسيين والجزائريين والمغاربة وهي : « إفريقيا الشمالية الفرنسية » فكان أن أصدر فقيد الادب تعليماته لازالة هذه العبارة (الفكر) .

يبادر أولا وبالذات بالتعريف بشعرائه وبالرفع من شأنهم متجاهلا غيرهم وفي احسن الظروف يكون متقمصا ازاءهم دور الحاضنة او الوصي .

3 ـ في ردم الشابي للشعر التونسي الذي انصفته «الفكر» منه بتسليط الاضواء على تافهه وعظيمه وفرقعة توقعته وجعل شعرائنا يستفيقون ثم يتفوقون على انفسهم ، فجرتهم فتفجروا . واكسبتهم الثقة بالنفس لا الغرور لان الاول يرفع والثاني يحط ووزعت انتاجهم الذي تراكمت عليه اتربة الرفوف على الخواص والعوام .

4 ـ « **الفكر** » **توجد المتعة الشعرية الجمالية عند قرائها :**

من المعلوم ان الفن لا يمكن الاحساس به بدون حدوث المتعة الجمالية على اعتبار ان الفنون تتعامل مع المشاعر والاحاسيس وتتولد عنها تأثيرات وجدانية وحسية . ومن المعلوم ان الفن يصقل ملكة الاحاسيس بالجمال وينميها ويطورها ويرتفع بها وبصاحبها الى درجة عليا تمكنه من تفجير الاشراقة الباطنية وهي امتلاك معرفة ذاتية وموضوعية معا بالمعنى الصوفي توجد عند الانسان اعلاء في انسانيته ينطق بها سلوكه بالايجاب والقبول تجاه نفسه والكون . معنى ذلك انها تكيف عالمه الباطني وتسير به الى نعومة في دقة الادراك وتفاعل باقل الاشياء وابسط الاحداث كل ذلك في رقة متناهية . فاذا بعثت عند القارئ هذه السمات وبالتالي اصبح يتفاعل مع الاثر الشعري فجدير به ان يساهم في الترفيع من عمق وغزارة التجربة الشعرية ، ويصبح يشارك الشاعر في عمليات الخلق والابداع ويكون دافعا مباشرا في ايجاد النموذج الشعري الذي يطفو فوق الاعتبارات الشخصية أو الاهواء الفردية أو الانتماءات الطبقية والقبلية والعصبية . ويكون بحق عنصرا من عناصر التطور المتجدد الدائم .

وقد عملت «الفكر» جاهدة على ايجاد وتربية هذه المتعة الجمالية عند قرائها. قبلها كان احذق قراء الشعر التونسي يمتلك ما يسمى بالنظرة الجمالية وهي الاعجاب «القشري» ـ لا الاحساس ـ بالمعلقات وروائع متأخري الشعراء على مستوى البناء الشكلي من نحو وصرف وعروض وقافية وعلى مستوى المضمون من بلاغة انشاء ومدى اقترابهما من النموذج الامثل ثم حفظها وترديدها والاستشهاد بها والمساجلة بها والنسج على منوالها ان امكن ذلك .

وبقية القراء يعتبرون ان الشعر ترف ذهني عويص تقوله نخبة وتفهمه اخرى . اما بقية العامة فهي تخلط الشعر بالغناء والرقص والقصص واقتصرت عنايتها على الشعر العامي واصحابه .

الشاذلي الساكر

نزيف الحلم الظامئ

شعر : محمد عمار شعابنيه

أنتَ في حظّكَ المُتْعَبِ
صرتَ مسْتَرْسِل الحزن مثل النّبي
دائمَ الوَجْدِ تختصر الشّوْق في دمْعَتيْنْ
نَامتَا بين عينْكَ والوجنتينْ
ثمّ حدّثتَا عنك ..

لم تلْقَ في ماسمعناه غير العذاب الذي يحرق القلبَ
ينْتشلُ الجلْدَ من فوْق أكتافنا
قلتَ : انّكَ إذْ تتوغّل في عُمْقِ أوْصافنا
تقْرَأُ الحُبّ فيها وبُعْدَ الدّيارْ
والترابَ الذي انْتَزَعتْهُ المسافاتُ من تحت رجليكَ لمّا رَمَتْ بك
في االلاّقــرَارْ

كَيْ تراك العُيُون التي آمنتْ بالحياة
شاردا بين أحيائها تذْرعُ الطُّرُقاتْ
وتُداري خطايا الّذين استباحوا هواكْ
للعصافير والشمس والاغنياتْ
واختفَوْا عنك في لحظة الإنكسارْ

* * *

وحدكَ الان يستنزف الهجْرُ أحلامَكَ الظّامئهْ
ويعرّيك ... يعصرُ أتعابَكَ النّائيهْ
عَرَقاً يتقاطرُ بَيْنَ الدّوَاليبِ والرّافعاتْ
في مدار الفصول التي تقتل الرّيح بالرّيحِ تستعبدُ النّازحينْ
غير أنك يا طائرًا مثْقلا بالجَوَى والحنينْ
لستَ وَحْدَكَ في ما تَرَى
فالزّرازير تبحثُ عن رِزْقها
وتُجَارِيه حتّى وَلَوْ كَانَ في أعيُنِ الصّائدينْ

* * *

إنّها الغُرْبَةُ الفاجِرَهْ
من نصيب الذين يلُوكون أحشاءهُمْ
ويُضيعون أبناءَهُمْ
في الصّحَارِي وفي الأنهجِ الحائرهْ
يستريحُ الضّنَى في محاجرِهم
حين تنفجرُ الرّغْبَةُ السّافِرَهْ
في القلوب التي آمنتْ بالكرَامةِ والخُبزِ في لحظةٍ كاسِرَهْ
ويصيرُ الزّمنْ
قِطْعَةً من قُماشٍ ومِمْسَحَةً وكَفَنْ

* * *

أيّها المتارجحُ بين الكرَامةِ والخُبْزِ لا تكتَسِبْ مرّتيْن
فالكرامةُ والخبزُ لَمْ يُولدَا تَوْأمَيْن .

بارقيش قلادباخ
1979/10/14

اشتقت اليك ...؟

قصة : عابدة عبد الحميد

لقد اكتشفت فى اكثر من مرة زيف العواطف والعلاقات .. فالحب بالمعنى المتداول بين الناس أخذ وعطاء مادى ، بحث ينتهى بانتهاء أسبابه ويقف حيث تقف الاحداث .. كم من علاقات تعتمد الظلمة والاركان البعيـدة تقـام باسم الحب .. تبنى العواطف بهذه الطريقة يفقدها بهجتها .. الحب كالنور واضح لا يختبىء ولا يخاف الآخرين . يشع فى النفس كقوة الايمان وكقوة اليقين ..

ان روحى متعبة وتبدو فى حاجة أكيدة اليـه ولكننى رفضت كـل العروض لسبب بسيط .. انها لم تكن صادقة .. وعقـلى .. يرفض ان يقبـل عرضا غير صادق وغير واضح .. هذه مشكلتى ..

* * *

ذات مرة قال لى حسين رئيسى بالمعهد وكانت نظراتـه تحاصرنى فى كـل مكان شيء قوى كان يصلنى منها .. نظر لى .. سألنى .. قال :

« من انت ؟ أنا لم أعرفك بعد .. انت غريبة .. لا أفهمك .. سادت بيننا فترة صمت .. بدا لى السؤال غريبا .. اشتغلت بالتأمل فى وجهه وكأننى اراه لاول مرة .. أحاول قدر جهدى ان احبس مشاعرى وأفكارى .. عيونه تبحث فوق وجهى عن شيء معين ، شيء محدد ، آخذ من حقيبة يدى جريدة أبسطهـا على العشب الاخضر ، تطالعنى نظراته صارمة .. يخرج صوته ممزقا .. يائسا ..

« ماذا تفعلين ؟ .. اقول فى ضيق .. » الم تقل انك قد تعبت .. بامكانك ان تجلس هو : « هنا ؟ »

انظر اليه فى دهشة مصطنعة ..

«المكان رائع .. الا ترى .. والشمس تريق علينا دفئا لا تجد مثله فى الداخل» جلس على مضض .. التقط كفى .. سحبتها منه برفق .. قال :
« انا احبك »

قلت : « الحب كلمة ضاعت فى الزحمة .. تاهت بين الآخرين » .

قال : « لماذا هرعت لمقابلتى اذن ؟ » .

قلت : « لاقتل الوقت بأن أتحدث اليك .. »

قال : « كان عليك ان تختارى صديقة لك .. واحدة من بنات جنسك .. »
قلت : .. صديقاتى كثيرا ما ينتقدن أسلوب حياتى .. هن يردن ان اشاركهن الحديث .. ان اجلس اليهن .. ولكننى لا أتقن حديث النساء .

قال : « كنت احسب ان بك مثل ما بى .. والا لما رافقتنى وتحديت الجميع ..

قلت : « ان ارافقك فى نزهة قصيرة ليس معناه انى احبك .. انت تخلط بين الاشياء ..

أعترف اننى لا أملك امام نفسى سببا مقنعا لهذا اللقاء .. ربما أردت ان استفيد من غزارة ثقافته واتساع خبرته .

حديثى اليه خارج أوقات العمل يضيف الى الكثير من المعلومات .. انه قاموس شامل .. بحر زاخر من المعرفة ..

بدا لى عالمه فى هذا اليوم ضيقا .. شعرت بالسأم يتسرب الى .. واعترانى شعور بالخيبة .. لم أر اليوم فى نظراته ما كنت أراه بالامس ، نظراته جريئة وقحة .. لأول مرة افقد انبهارى بشخصيته .. احتقره .. انه مثلهم .. عيناه تلمعان بالرغبة .. ينتابنى شعور بالتقزز لم اكن اعلم اننى ساقف منه مثل هذا الموقف .. فى مرة من المرات .. كيف تذبل المشاعر بمثل هذه السرعة ؟؟

كنت أبحث عن رجل يعطينى ارضا .. يحررنى من عقدى ويجعلنى انظر الى الحياة والى الاحياء بعين ملؤها الأمل والتفاؤل والرضا .. نهضت .. قلت : « سأمضى » .

قال : « أتسخرين منى ؟؟ »

قلت : « لقد قرات بوضوح ما تعانيه .. لست النموذج الذى تبحث عنه .. حسبتك تفهمنى بسهولة .. لم اكن اعلم انك تفكر فى أن تجعل منى نزوة من نزواتك .. لقد حطمت فى داخلى مشاعر جميلة حملتها لك .. كنت اراك قويا .. رائعا بأفكارك ، وبثقافتك وبحوارك .. » قال بلهجة ساخرة وقد اعتدل فى جلسته :

« دعوتنى فحسبتك متحررة ٠٠ ولكن يبدو انك مثلهن ٠٠ مشدودة الى افكار جداتك .. أنصحك بالا تتشدقى بعد اليوم بحرية المراة وبالافكار المستوردة . كونى انت فى كل مكان ٠٠ البدوية الساذجة التى لم تع من الحياة شيئا بعد ٠، طريقة من الطرق يسلكها بعضهم لتبرئة ساحته .. أبتلع ريقى فى صعوبة .. شعور بالمرارة يتملكنى .. كدت اتكلم .. كدت افتح معه حوارا طويلا اشرح له فيه معنى الحرية والتحرر .. ولكننى فضلت الصمت تركته مع حيرته وانطلقت بعيـدا .. .. ..

* * *

عندما عدت حاسبت نفسى حسابا عسيرا وندمت على تسرعى فى توجيه دعوة اليه .. بالامس .. بدا لى ممتازا .. مثقفا ومتخلقا .. وكـان احترامى له كبيـرا ..

اليوم وبعد ان قابلته اشياء كثيرة بداخلى تحطمت .. تاهت .. وبدا عنائى لا حد له ٠٠ فى هذه المحنة ذكرته ٠٠ ذكرت أمجد ٠٠ اشتقت الى ما توحى به تقاطيع وجهه كلما وقعت عيناه على ٠٠ كأن بى قد عثرت فيه على شىء يروى عطشى الداخلى .. يغذى روحى المتعبة .. حواره يشدنى بقوة .. شرح لى الكثير من جوانب شخصيتى ٠٠ أسئلة كثيرة بقيت معلقة بذهنى ٠٠ أجابنى عنها هو فى أكثر من فرصة ٠٠ وعرفت انه يمتلك أشياء افتقدها أنا شخصيا ٠٠

منذ أول مرة رأيت فيها أمجد شدتنى اليه قوة شخصيته وأيضـا وسامته أخفيت عنه اعجابى به ٠٠ جذبنى اليه شكله الخارجى فى الاول وكنت أحسب أنه سيخرج بنفس السرعة التى دخل بها قلبى ولكن وبمرور الزمن أحسست به يغوص ويغوص الى أعماقى.. كلماته أذابت القلق فى نفسى. أنارت لى الكثير من جوانب شخصيته ٠٠ أول رجل يقابلنى ٠٠ يحدثنى عـن الحـب ثم عـن شخصيتى القوية ٠٠ الرجل يرفض دوما هذه القوة فى المرأة ٠٠ منذ الأزل وهو الذى يدير عملية الكون ٠٠ هو الذى يقرر ويرسم مصير من تتبعه من النساء ٠

كل الذين عرفتهم قبل أمجد وقفوا على عتبة بابى ٠٠ لم يتغلغلوا الى داخلى٠٠ عرفت أمجد فأحسست كأننى ٠٠ أعرفه منذ سنين٠٠خطوط شخصيته بارزة.. كأننى عثرت فيه على النقطة المضيئة فى حياتى ٠٠ احساس لم يسبـق لى ان عرفته قبل اليوم ٠٠

أصبحت ألجأ اليه كلما أحسست بالتعب يهد قواى ٠٠ كلما تهت ٠٠ كلما عانيت ٠٠ ووجدت منه اهتماما ٠٠ وحنانا ٠٠ وأحسست بحاجته الى ٠٠ وذات يوم عرفت أننى ٠٠ لم أخطىء فى تقديرى الشخصى له ٠٠

قدمت له نفسى بكل جرأة ٠٠ حدثته عن كل مشاكلى ٠٠ عن الاثقال التى تثقل كاهلى ٠٠ عن الأتعاب التى يجوز أن تلحقه من جراء ارتباطه بى ٠٠ ولكنه بدا لى ٠٠ كذلك الصينى الذى أمضى اليوم كله يحفر الأرض بأظافره ليظفر بقطرة ماء ٠٠ وأعجبنى فيه اصراره على ان يفوز بى ٠٠ وانه لا يشبه احدا ٠٠

* * *

بايجاز فيه عثرت على شطرى الثانى ٠٠

لم ابحث عن اى تقييم لتصرفاتى ٠٠ ولا لأفكارى الا بعـد ان التقيتـه ٠٠ أعجبنى منه انه يفهمنى سريعا ، يجد القراءة فى عينى سهلة ٠٠ مشاعرى ٠٠ أفكارى ٠٠ اتجاهاتى عرفها قبل أن أعرفه بها ٠٠ يعجبنى ٠٠ معه هـذا الذكاء كان الشىء الوحيد الذى فكرت فيه منذ ان عدت الى البيـت أن اراه ٠٠ أيـام طويلة فصلتنى عنه ولكنه بقى ساكنا بالرغم منى ٠٠ فى مشاعـرى ٠٠ وفى احساساتى ٠٠ فى آخر لقاء لنا بدا لى خائفا ٠٠ وكان وهو يكلمنى يبدو لى رائعا أروع من اى وقت مضى ٠٠ لقد تصورت فى فترة من الفترات ان حبنـا وليد ظروف معينة يموت بموتها وكنت انتظر هذه النهاية فى شوق ملـح ٠٠ كنت انتظرها ٠٠ لأركض كعادتى بين الأشجار وفوق الرمال ٠٠ أصعد الجبال أغازل السحب وأنهل من الشمس ٠٠ كان بى حنين الى عالم أخضـر يحتوينى بيـن ذراعيه .. ينسينى أمجد ويعيدنى الى أحلامى البكرية .

اليوم أحسست بحاجتى الأكيدة اليه ٠٠ نظراته وكلماته مازالت مغروسة فى داخلى ٠٠ انه مازال ساكنا فى أعماقى بحواره وبدفء عواطفه ٠٠ مـددت بصرى الى المنزل المقابل ٠٠ النوافذ مغلقة ٠٠ والصمت يلف كل شىء ٠٠ لقد اعتادت عيناى عـلى ان تراه فى مثـل هذه الساعـة ٠٠ وانتابنى ٠٠ شعـور بالوحدة ٠٠ اخيرا عرفت موقع اقدامى وقررت أمرا ٠٠

* * *

لقد سبق لى ان رافقت أمجد فى عدة مناسبات وكنت فى كل مـرة صاحبة الدعوة ٠٠ لم أر فى عينى أمجد ما كنت قد رأيته فى عينى حسين ٠٠ يرافقنى

أمجد فيبدو هادئا ٠٠ وديعا ٠٠ حالما ٠٠ يظل يتبع خطاى كما يتبع الطفل أمه ٠٠ من عادة أمجد الصمت ٠٠ ولكنه وفى كل مرة يرافقنى فيها يبدو ثرثارا يحدثنى كثيرا ولا يمل ٠٠

* * *

مرة قلت له : « أراك تائها ٠٠ فى عينيك يسكن حزن غريب » ٠

بعيون مفتوحة فوق وجهى يقول :

« لقد عفت حياتى ٠٠ أنا بحاجة اليك ٠٠ ولكن على ان انتظر شهورا قبل ان اتقدم الى أهلك ٠٠ انه كثير على ان تحبينى ٠٠ الفرق بينى وبينك شاسع ٠٠ والمرتب الذى أتقاضاه آخر كل شهر لا يمكننى من ان اوفر لك الحياة التى ترتضينها ٠٠ انى ٠٠ اخاف ان تتركينى ذات يوم ٠٠ أخاف أن تضيعى منى » ٠

احتضنت كلماته ومنحته كل عواطفى ٠٠ بشرود قلت :

« أمجد ٠٠ الحياة جميلة وانا فى رفقتك ٠٠ انا لا اسأل عن مرتبك ٠٠ المهم أنت ٠٠ حبك لى أثمن سوار تهدينى اياه ٠٠ لقد بات من المستحيل ان تعثر فتاة اليوم على عينين صادقتين كعينيك ٠٠

ان تحبنى ٠٠ بصدق يجعلنى قادرة على ان أذيب كل حاجز يعترضنا وعلى أن اجتاز كل جسر ٠٠ وعلى أن اخلق المعجزات ٠٠

* * *

قاطعنى أمجد بهدوء شديد قائلا :

« انت لم تعرفى الجانب المشوه من الحياة ٠٠ مازلت تحتفظين بنقاوة عاطفتك ٠٠ أفكارك لم تتلوث بعد » ٠

فجأة تلتقى عيناى بعينيه ٠٠ كأنه يحتوينى فيهما ٠٠ أرتجف رغما عنى ٠٠ فرق بين مشاعرى اليوم وأنا معه ومشاعرى بالأمس وأنا رفقة حسين ٠٠ ان مشاعرى اليوم تبدو جديدة على ٠٠ انها تعطينى أرضا أقف عليها ٠٠ وان لها لغة خاصة تغذى روحى المتعبة ٠٠

نظر أمجد الى وجهى باهتمام ٠٠ احتضن كفى ٠٠ وركز نظراته فى عينى بحنان بالغ ثم قال :

« كل شيء فيك يبدو طبيعيا ٠٠ حتى وجهك ٠٠ لا أثر للمساحيق فوقه ٠٠ من النادر أن يعثر الرجل على وجه طبيعي في أيامنا هذه ٠٠ انى اكره بطبعي الوجوه المستعارة ٠٠ أكره أن أظهر على غير حقيقتي ٠٠

أكره ان أزيف نفسي » ٠

تذكرت ما قاله لي حسين بالأمس ٠٠ كان ينظر الى بتمعن ٠٠ وكأنه يشاهدني لأول مرة ٠٠ سألني في دهشة ٠

« يبدو أنك مازلت صغيرة ٠٠ لم تتعرفي الى الحياة بعد » .

قلت : « كيف ؟ أنا لا أفهمك » ٠

قال : « كيف تصل فتاة الى هذه السن ولا تهتم بزينة وجهها ولا بصبغ رموشها » ولا حتى باقتناء فساتينها ٠٠ أمر يبعث على التساؤل ٠٠ ٠٠ ٠٠ كأنك تلميذة في طريقها الى الفصل » ٠

عيناي تزدادان اتساعا..أكاد لا اصدق ما أسمع..كدت أصرخ في وجهه.. منذ أيام فقط قال لي ٠٠ وبعد حوار طويل حول حرية المرأة وتحررها « المرأة في بلادنا لا يشغلها شيء قدر الاهتمام بقشورها الخارجية ٠٠ لا شيء يستحق اهتمامها سوى ذاتها ٠٠ انها وعاء فارغ ٠٠ طبل أجوف ٠٠ قطة مدللة ٠٠ دمية عيناها من زجاج ٠٠

بهرني ٠٠ بآرائه الجريئة ٠٠ وأعجبني فيه اهتمامه بجوهر المرأة٠٠بذكائها المشع وباهتماماتها التي تتجاوز ذاتها ٠٠

اليوم غير وجهه ٠٠ مات فيه الانسان المثقف الواعي ٠٠ عجبا كيف يتغير الانسان بين لحظة واخرى ؟؟؟

* * *

أقنعت نفسي أخيرا أن حسين ليس الا واجهة ثرية لمعروضات ثمينة وجميلة ولكن لمن أراد ان يقتني شيئا منها فهو لا يجد غير معروضات رخيصة مبتذلة٠٠

انه يتبنى أفكارا لا يؤمن بها اساسا ٠٠ هذه مشكلته ٠٠

أفقت على صوت أمجد يناديني ٠٠

٠٠ كأنك لا تسمعينني ؟؟ ٠٠

انظر مليا فى عينيه ٠٠ اقول :

« أنا سعيدة بك يا أمجد ٠٠ ان حبك لى ينير أفقى ويبعث فى الرغبة فى أن أصنع العالم صنعا جديدا » ٠

يجذبنى برفق اليه ٠٠ يقول :

ـ وما الذى تريدين صنعه ؟؟

اقـول :

« أضىء الشموع فى بيوت التعساء ٠٠ أرفع عن ايديهم الأغـلال ٠٠ أقطع السلاسل وأنشر بينهم الحب والحرية » ٠

يضحك أمجد ويقول :

« ان الحب فى داخلك ما زال قويا ٠٠ وفطريا ٠٠ انك لا تشبهين الأخريات ٠٠ حوارك يدفئنى ٠٠ يشدنى ٠٠ اليك اكثر » ٠

* * *

كأننى قد عثرت فيها عن جزيرتى الضائعة ٠٠ حديثها خدر القلق فى نفسى أجاب عن كل الأسئلة التى كانت تعتمل فى صدرى ٠٠

عرفت نماذج كثيرة وأرهاطا متعددة من النساء ٠٠ فى عيونهن يسكن جوع فاحش ٠٠ وفراغ مهول ٠٠ لهن أكثر من وجه ٠٠ واكثر من صورة ٠٠ يومها كنت ضائعا فى قرارة نفسى ٠٠ لم أعثر بعد عـلى مضمون لحيـاتى ٠٠ عندما تعرفت اليها شدنى اليها صمتها ومعنى الحنان المرتسم فى عينيها .. بـدا لى يومها ان فى عينيها أسئلة لم تطرح بعد ٠٠ وان فى قلبها حبا كبيرا ٠٠ وحولها احلاما لم تر النور ٠٠

بدت لى الأشياء يومها قزحية اللون ٠٠ ساطعة ٠٠ وبدت لى معالم الطريق واضحة « لم تتحدد معالم الطريق امامى الا فى ذاك اليوم » .

وعدت أذهب الى هناك ٠٠ كل ايام الاسبوع تقريبا ٠٠ الى حيث كنت اراها ٠٠ لأرقبها من بعيد بكثير من الحذر ٠٠

* * *

أمى تسألنى عن الوقت الذى أمضيته خارج البيت ٠٠ ماذا أقول لك يا أمى ؟ ببساطة وجدتها ٠٠ كدت اقول لك يا أمى ٠٠ كل شىء ٠٠

ولكنني ·· داريت فرحتي في صدري ·· كتمت عواطفي وأرجأت مفاتحتك في الأمر .. من يدري ..؟؟ لا شيء في هذه الحياة ثابت .. لا شيء حقيقي صدقيني يا أمي ·· انا بحاجة الى حب كبير ·· الى كائن حي ينثر الاضواء في طريقي ويعطيني مفتاح الأمان ··

يومها سأحل كل مشاكلي ·· سأحمل بيدي ·· المشاعل وسأسير أحصد الشوك وأستنبت عشبا أخضر يوقظ الحياة ··

عرفت نساء كثيرات ·· بحثت بينهن عن الحب ولم أجده ·· بحثت عن ذاتي في عيونهن ·· كانت عيونا زجاجية جامدة ·· تجمدت بينهن ·· شعرت بالقرف وأصبح الملل يكبر بي يوما بعد يوم ··

اعلم يا أمي ان تصرفاتي اتسمت دوما بالاستهتار وباللامبالاة ·· واعلم ان الجنس في حد ذاته كان غايتي ومطلبي .. كنت أستخف بكل شيء ولكن ثقتي اني قد مللت حياتي هذه وان سلوكي قد بدأ يتجه وجهة ثانية ·· التجربة والخبرة يساعداننا على اكتشاف وجه الغلط في تصرفاتنا ·· ولكن الغد ·· توقع الفشل يخيفني ··

صوت أمي الدافىء يعيد الى طفولتي وينقلني الى موطني الحبيب ·· وأهلي الطيبين ·· عيون أمي تشع بالبراءة وبصفاء اهل البادية ··

كم احبك يا أمي ·· لقد اعتنيت بي جيدا ·· أهديتني أجمل أيامك ·· عشت أيام الحرمان ·· أيام الفقر والألم ·· وكنت على الدوام طيبة وصالحة ·· لم تغيرك أيام الترمل ·· صمدت ·· قاومتها بشدة ·· احتملت منظرها البشع ولم تصبغي في يوم وجهك ولا رموشك ·· كنت شابة وجميلة ولكن احترامك لأبي وقد واريناه التراب كان عظيما ·· وكان حبك له وبعد رحيله عنا كبيرا ·· لا تسعه الدنيا وان اتسعت ·· علمتني باصرار ألا أزيف نفسي والا أكذب ·· علمتني الوضوح وعلمتني الوفاء ·· ذات يوم وقد أصبحت شابا تركت البيت وخرجت الى الشارع أبحث عنك وسط الزحمة بين النساء ·· أنظر في العيون اتفرس الوجوه ·· لم أجدك يا أمي ·· قابلتني وجوه ممسوخة ·· عيون زائفة نساء بدون طعم ولا رائحة ·· بكيت ·· صرخت بصوت عال ··

« انا وحيد ·· وحيد » وعدت اليك لاختبىء بين أحضانك ·· ضممتني اليك في قوة ··

قلت لى يومهـا :

« لم تعد بعد طفلا يا أمجد ٠٠ لقد أصبحت رجلا ٠٠ مهندسا ناجحا يحق لى ان أفتخر به » رفعت يدك الى شفتى ٠٠ لأ لثمها ٠٠ نظرت اليك ٠٠ قلت :

« أمى ٠٠ لقد اشتقت اليك ٠٠ اشتقت الى سـواد عينيـك لأختبىء وراءه » كأنك أحسست بما أعانى ٠٠ ضممتنى الى صدرك اكثر وبكيت ٠٠

* * *

أحيانا حين أعود الى البيت فى ساعة متأخرة من الليل أجدك بانتظارى وفى عينيك عبارات اكثر قسوة من ضربات السوط ٠٠

لا أطيق ان انظر فى وجهك ٠٠ أدخل بيتى سريعـا وأندس فى فـراشى بملابسى كطفل صغير اكتشف حدة الخطأ الذى وقع فيه فخاف العقاب ٠٠ فى تلك اللحظات ومن البيت المجاور يصلنى صوتك خافتا ٠٠ هادئا ٠٠ مسالما ٠٠ اسمعك تبتهلين الى الله ٠٠ تتضرعين اليه فى صلوات طويلة تمتد الى وقت متأخر ٠٠ متأخر جدا ٠٠ وأسمع اسمى يتردد على لسانك اكثر من مرة ٠٠

ما ذنبك تتعبين كل هذا التعب لأجلى ؟؟

لو اصبح لى طفل فى المستقبل هل سأعطيه مـن وقتى كـل هـذا الاهتمام والرعاية ؟

* * *

لقد عرفنى أمجد بوجه حقيقى ٠٠ علمنى الصدق وعلمته الوضـوح ٠٠ معه أعيش الأحداث وأتعاطف مع مشاكل الآخرين ٠٠ وهـو فى رفقتى لا يشعـر بحاجة الى ان يزيف أوراقه ٠٠ علاقاته بنساء كثيرات هدمت فى داخلـه اشياء كثيرة ٠٠ يقول اننى قد أعدت اليه توازنه ٠٠ أعدت اليه يقينه بان أمه موجودة بين الأخريات ٠٠ ومنحنى أمجد اليقين بان حسين ليس كل الرجال ٠٠ أمجد هو الآخر يتوالد كل يوم بينهم ٠٠

ولأول مرة فى حياتى أحس بالدفء يتسرب الى كيانى وأبدى حرصا عجيبا على ان احيا ٠٠ واحسست بالامان ٠٠ الامان الذى افتقدته طوال سنوات ٠٠

كنت احس باعتزاز غريب كلما دخلت بيتى ٠٠ وكانت لهفتى لرؤية حمدى وهو بين ذراعى جدته تناغيه لا تعادلها لهفة ٠٠

كانت حماتى قد تخطت سن الخمسين ٠٠ تبدو عليها علامات الوقار والصحة والنسب الرفيع ٠٠

كانت امراة فاضلة وكانت دعواتها الصالحة تلاحقنى إثر كل صلاة لها ٠٠

وكان حمدى طفل الجميع يتابع صبيحة كل يوم فى صمت وربما فى عجب لحظات الابتهال الصوفى التى كانت تستغرق فيها جدته والتى كانت تشد انتباهه اكثر من اى شىء آخر ٠٠

وكنت – إثر انتهائى من عملى – لا يشغلنى شىء سوى التفكير فى العودة الى البيت ٠٠ أعود لأرى أمجد ولأحضن حمدى ٠٠ ولكى تقابلنى نظرات تلك المراة الطيبة التى هى حماتى لأرى نفسى فيها ٠٠

وكان شوق أمجد الينا جميعا لا تعادله قوة ٠٠

وأحببت هديته لى فى آخر كل نهار ٠٠ أصبحت أنتظر موعدها بلهفة ٠٠ وربما بجنون ٠٠ انتظرها أيام المطر والبرد وأيام الصقيع والحر ٠٠ أيام القيظ وايام الاعصار ٠٠ أيام المرض وايام الصحة ٠٠

فى كل تلك الأيام أظل أتطلع الى قدوم أمجد وكأننى رضيع يتطلع الى ثدى أمه ٠٠ كنت أنتظر قدوم أمجد لأستمع الى كلمات كانت تنساب انسيابا وتقطر لهفة وعذوبة وسحرا ٠٠

أظل أرهف السمع لأنصت اليه يقول بعد ان يضمنى اليه فى قوة « اشتقت اليك يا أم حمدى ٠٠ » ويغمرنى عطر أنفاسه فارى الجنة ٠٠ وكانت حياتنا فجرا وأيامنا تمر كالخيال ٠٠

عايدة عبد الحميد

80/8/11

ضوءة القرن الخامس عشر هجري

شعر : حسين سفطه

القرن الخامس والعشر — والنور المشرق والبدر
إطلالة عز قد انطلقت — والمجد يرافقه الخير
والسعد اذا انبسطت يده — تألقت الأنجم الزهر
واليمن اذا شاع فى رقعة — تخاطفها البدو والحضر
فيا أيها القرن قد جئتنا — يحالفك الجد والبشر
تداعب أرواحنا بالشذى — يضمخه المسك والعطر
وتملأ أنفاسنا متعة — فيا حبذا الريح والنشر
نتوق لذكرى معظمة — مقدسة زانها النصر
تمثل فى هجرة قادها — رسول يتوجه الطهر
حنين ليثرب قد هزه — ليكسر ما مده الكفر
وينشر دينا على عالم — تناوبه الفسق والشر
يقشع ما فيه من دجية — تعاورها المد والجزر
فسار مع الصحب يحدوهم — شعاع يعززه الفجر
عذارى المدينة غنينه — نشيدا يناغمه السحر
هلال أطل فيا مرحبا — وأهلا فقد طلع البدر
ودقت طبول على ذكره — وردد مزمارها الكثر
ولاحت على الكل إشراقة — وعمهم الفرح البكر
فسر النبى بانصاره — وهكذا طاب له الهجر

تزاحم الناس على دينه   تباعا كما يقتضى الجهر
فعم ربوع الدنى هديه   وقد ظهر الحق والظفر
فكم ذكريات تدغدغنا   يدعمها العقل والفكر
وكم عبر نستجيب لها   يؤكدها النهى والأمر
وكم آية فى الكتاب لنا   عظات يباركها الذكر
تبخترت يا قرن فى حلة   مهفهفة تاجها الدر
تباطأت فى السير دستانيا   يصاحبك العز والفخر
عسى الدين من بعد كبوته   يقوم فينبثق الفجر
ويهزج أغنية للورى   يخلدها الشعر والدهر

حسين سفطه

حسناء فى المعركة

الى عشاق الحرية والعدالة الباذلين فى هذا السبيل ، الى انصار الكلمة المجدين فى اقامة صرحها عاليا ثابتا على مر السنين . أهدى هذه القصة » .

بهذا الاهداء قدم الاستاذ صالح عكاشة روايته التى نشرها تحت عنوان : « حسناء فى المعركة » وقد قسمها الى خمسة فصول : « الرحيل ــ ما هذا التمييز العنصرى ؟ ــ اسمهان الفتاة الفلسطينية ــ نكسة فـ(ـماص) ــ بقايا بطل . وقد طبعت هذه الرواية ببنزرت . تونس .

وقد أهدانا المؤلف نسخة من كتابه نشكره ونرجو له تواصل الانتاج فى دروب البذل والصمود . فالاصرار طريق الوصول .

مطالعات

التعريف بنفائس المكتبة الأندلسية

المُغرِبُ في حِلى المَغرِب

بقلم : د. محسن العيادي

... هذا كتاب ضخم وموسوعة كبيرة الحجم : Encyclopédie يشتمل على العلوم الادبية والجغرافية والتاريخية وعلى أولية من كتب فى الموشحات والازجال الاندلسية والمغربية ، ومن عنوان الكتاب نرى أنه يتصل بتاريخ أجدادنا المغاربة الذين كانوا شديدى الصلة بتدوين كل ما يحدث فى تاريخ اوطانهم ايام الحفصيين فى تونس والتى كانت يطلق عليها آنداك « افريقية » .

وكتاب « المغرب »الف بالموارثة فى مائة وخمس عشرة سنة تداول عليه بالتاليف ستة من علماء الاندلس :

أبو محمد الحجازى وعبد الملك بن سعيد وأحمد بن عبد الملك ومحمد بن عبد الملك وموسى بن محمد وعلى بن موسى ابن سعيد .

ولاهمية الموضوع اردت التعريف بهذا الكتاب لدى قراء مجلة الفكر ولأسرتها وسأركز التعريف على «على بن موسى» ابن سعيد وهو آخر من اتم هذه الموسوعة

الضخمة وقد لقى حفاوة كبيرة بين علماء تونس وادبائها وشعرائها ومفكريها لان علي بن موسى هذا أول من أدخل علم الجغرافيا وعلم التاريخ فى علم واحد متصل بالاشعار سواء كانت موشحات او ازجال أو مقتطفات عن طريق الرواية الشفوية أو بزيارة المكتبات وتتبع الآثار عن طريق المشاهدة او السماع وكتاب «المغرب» نفسه ينقسم الى ثلاثة أجزاء : «وشى الطرس في حلى جزيرة الاندلس» للجزء الذي كتب عن الاندلس وقسم « للمغرب والجـزائر وتونس » واطلـق عليه « نفحات العنبر فى بلاد البربر » وجزء فى البلاد المصرية واطلـق عليـه « بلاد الاكليل فى حلى بلاد النيل » ولاول مرة فى التاريخ تـوضع مصر تابعة للبلاد المغربية باعتبارها جزءا يشرف على البحر الابيض المتوسط .

خـلاف بين المؤرخين في تسمية الكتاب

لو عدنا الى كتب التراث المتحدثة عن التاريخ والحضارة والسير لرأينا ان هذا الكتاب اخذ اسماء عديدة ومختلفة بعض الشيء في الجـوهر لا في المعنى فقـد سماه ابو المحاسن ابن تغرى بردى فى « المنهل الصافى » « المغرب فى اخبار اهل المغرب » وسماه ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات « المغرب فى اخبار المغرب » وسماه حاجي خليفة فى كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون « المغرب فى محاسن حلى اهل المغرب » (1) وذكرانه فى نحو خمسة عشر مجلدا الف لمحيى الدين محمد بن محمد الصاحب بن ندى الجزرى (2).

منهج كتاب المغرب فى حـلى المغرب :

لقد ألف هذا الكتاب بالموازنة فى مائة وخمس عشرة سنة ستة من علماء الاندلس وصدر عن آخر هؤلاء العلماء « ابن سعيد » وكان هؤلاء على الرغم من كونهم مغاربة من قلعة يحصب بغرناطة Alcala la Rèol كانوا جميعا ينظرون الى «المشرق» و «المغرب» نظرة عالمية ونظرة شمولية واسعة فعلى الرغم من تاليف كتاب « المغرب » الفوا أيضا كتابا يضاهيه فى التاريخ والحضارة عن المشرق وسموا التصنيف بهذا الاسم :

---

(1) حاجي خليفة فى كشف الظنون رقم : 12468 .

(2) انظر ما كتبه الدكتور زكى محمد حسن فى مقدمة المغرب ص : 54 تحت عنوان عود الى اهداء المغرب لابن ندى الجزرى .

« المشرق فى حلى المشرق » « والمغرب فى حلى المغرب » ورسموا على المشرق صورة للكرة الارضية والبحار ماخوذة عن بطليموس (3) والملاحظ أن اجزاء « المغرب » اغلبها صدر وطبع وازيح عنها الغبار فقد صدر الجزء الاندلسى : « وشى الطرس فى حلى جزيرة الاندلس » . وصدر الجزء المصرى « بلاد الاكليل فى حلى بلاد النيل » بينما الجزء الخاص بشمال افريقيا والمسمى بكتاب « نفحات العنبر فى بلاد البربر » مازال ضائعا وهو يؤرخ الحياة البربرية التونسية الى أيام الدولة الحفصية ولو عثرنا على هذا المخطوط فى البلاد المغربية عامة والاندلسية لغير الكثير من الاحداث التاريخية وتصحيح الوقائع لانه يعتمد فيه صاحبه على المشاهدة وعلى الرحلات وعلى زيارة المكتبات الخاصة والعامة لان ابن سعيد واسرته الاندلسية لقوا جميعا المعونة فى الديار التونسية أيام الدولة الحفصية ، وكم كان عنصر المشاهدة حيا فى فن التاريخ يزخر بالواقعية وبالشعور والاحساس للاحداث ووصفها فهى فى وقتنا هذا عبارة عن تسجيل أو وثيقة يمكن الاعتماد عليها فى الحكم على ما تمليه الحياة التى تعتمد على المشاهد بدل التهويل والتكبير والادعاء .

والكتاب فى منهجه بصفة عامة مرتب حسب البلدان الموجودة على الكرة الارضية اقصد بذلك « المشرق والمغرب » وكلما ذكر فى التصنيف البلد ذكرت قاعدة الملك أو « الكورة » ويبدأ ابن سعيد بكرسى مملكتها وقاعدة ولايتها ثم يتحدث عن كل بلد ومن بناها منذ البداية وما لهذا البلد من انهار أو حدائق او منتزهات أو ثروات معدنية او نباتية ثم يقسمها الى خمس طبقات كل الذين سكنوا فى هذه البلدان او « الكور » : وهى خمس طبقات :

أولا : طبقة الامراء **ثانيا :** طبقة الرؤساء **ثالثا :** طبقة العلماء ، **رابعا :** طبقة الشعراء ، خامسا : طبقة اللفيف وهى مخصوصة بمن كان له « موشحات » و «أزجال» أو «الدوبيت» أو «المواليا» أو «الكان ما كان» وغير ذلك من القصص والاغانى والنكتات التى كثيرا ما يتسلى بها الامراء والرؤساء فى أوقات فراغهم بعد قيامهم بواجباتهم الوطنية فى المناسبات الخاصة والعامة .

ولو اخذنا نمط منهجية « المغرب » القسم الاندلسى فى التاليف رأينا ابن سعيد يؤلف كتابه ويشبهه بشجرة كبيرة تخرج من جذعها فروع مختلفة ،

---

(3) مازال مخطوطا فى مجلد المكتبة التيمورية رقم : 2532 .

وتخرج من الفروع غصون كبيرة وتخرج من الغصون الكبيرة غصون صغيرة وتخرج من الغصون الصغيرة أوراق متنوعة ومن هنا كان منهج تأليف هـذا النص معقدا وخاصة أمام كلمة « كتاب » تتردد على كل غصن وكل ورقة ثـم يخرج بعد ذلك الى كور الاندلس كورة كورة وقد سمى هذا القسم « كتاب وشى الطرس فى حلى جزيرة الاندلس » . ثم رجع فقسم الأندلس الى «غرب» و «وسط» « وشرق » وافرد لكل قسم كتابا : فسمى كتاب « المغرب » كتاب الطرس فى حلى جزيرة الاندلس وسمى كتاب الوسط « كتاب اشفاء اللعس فى حلى موسطة الاندلس » « وكتاب المشرق » « كتاب الانس فى حلى شرق الاندلس » ثم اخد يقسم كل كتاب من الكتب الثلاثة الى ممالك « وقسم كـل مملكـة الى كورهـا المختلفة ووزع على ذلك كله الطبقات الخمس التى سماها فى مقدمة المشرق ، وكل مملكة بل كل كورة بل كل بلدة فى كورة نجد لها كتابا مفردا . وقد قسم المغرب الى سبعة ممالك (4) .

هذا باختصار عن المنهج العلمى الذى سلكه ابن سعيد فى تأليف كتاب « المغرب فى حلى المغرب» وهو على ما يبدو منهج صعب وعقلانى ومنطقى يعتمد على جغرافية الارض وتقسيمها ثم ينتقل بالحديث عن « ملوك » و « رؤسـاء » « وعلمـاء » « وشعراء » « ولفيف » من سكنوا هذه الارض معتمدا فى ذلـك على الاسفـار والرحلات العلمية والاطلاع المباشر على المكتبات الخاصة والعامة والجلوس مع الشعراء والعلماء والاخذ منهم مشافهة وتسجيل فى كراسته كل الملح والازجال والموشحات والاحداث التاريخية الموثوقة ، ومنهجه كما ذكرت متدرج يبتدى بالاهم طبقة عن طبقة شأنه فى ذلك شأن الشجرة فالجذع هو الاصل ثم الاغصان ثم الفروع ثم الاوراق وهكذا الى ان يتم التصنيف ، مقدما الاهم عن المهم مـع التدرج فى المنهجية والهيكلية ...

... وهذا النوع من التصنيف يمتاز به مؤلفو « المغرب » عن سائر غيرهم من المؤرخين الذين يعتمدون على التواريخ والاحداث والايام ، فمسلك ابن سعيد فى التاريخ والجغرافيا والادب هو تجسيم المعلومات عـلى الخريطة الجغرافيـة لكل « كورة » او منطقة من الديار الاسلامية او المسيحية مع انه لا يغفل التاريخ وتسجيل الاحداث لانه دائما يبتدى بالمدينة العتيقة وتطويرها وانجازات ملوكها واصلاحات المشرفين على حكمها وسير دواليبها عبر التاريخ والاحداث الحضارية

(4) انظر تقسيم الكتاب فى مقدمة «المغرب» من القسم الاندلسى مطبوع،وشى الطرس فى حلى جزيرة الاندلس .

تقييـــم كتاب « المغرب » « في حلى المغرب »

نص كتاب « المغرب » يقدم للباحثين معلومات عن بيئـات بلــدان الاندلس والمغرب وتونس ومصر كما بين رجال الحكم والسياسة والامـراء والــوزراء والكتاب والفقهاء والقضاة والاطباء والوشاحين والزجالين هذا وإن النص الذى اورده ابن خلدون فى المقدمة عن الازجال والموشحات منقول عن كتاب « المقتطف من ازهار الطرف » لعلى بن سعيد الذى يخص ما كتبه اسلافه فى هذا الشـأن من المغرب كما ان المقرى صاحب نفح الطيب نقل الكثير عن مغرب ابن سعيد ... هذا بالاضافة الى النص يحتوى على قيمة فنية لا تقل عن القيمة التاريخية ، وقد درس المغرب العديد من العلماء والشعراء وها هو كمال الدين ابن العديم يردد أبياتا قالها الشاعر التونسى أبو العباس التيفاشى ايام الدولة الحفصية قال :

سعد الغـرب وأزدهى الشـرق عجبـا	وابتهاجـا « بمغـــرب » ابــن سعيــد
طلعت شمســه مــن المغـرب تجـــلى	فــاقامـــت قيـــامـة التقييـــد
لــم يــدع للمؤرخيـــن مقـــــالا	لا ولا للــــرواة بيــت نشيـــــد
ان تـــلاه عـلى الحمـــام تغنـــت	مـا عـــلى ذا فى حسنــه مــن مزيـد

مصـــادر كتـــاب المغرب فى حلى المغرب :

لقد احتوى النص على معلومات جغرافية وادبية وتاريخية عن كل كورة من كور الاندلس المختلفة ومن هذا الاختلاف والتنوع الشديد يمكن ان نحصرها فى ثلاثة انواع كالآتى :

أولا : عنصر المشاهدة : هام بالنسبة للمعلومات الجغرافية وما احتوت «كور» الاندلس المختلفة من نبات ومعادن وحدائق ومتنزهات . وقد فتح هــذا الباب « الحجارى » وله حظ اوفر ويليه على بن موسى صاحبنا الذى انتقل فى اجزاء الاندلس المختلفة واعتنى بصيغ الموشحات والاشعار فى جميع المتنزهات التى زارهـــا .

ثانيـــا : عنصر الرواية الشفوية : لقد اتيحت للنص هذه الميزة ولم تتح لاى كاتب اندلسى اذ تداول على النص ستة مؤلفين فى مائة وخمس عشـرة سنة متعاقبة نراهم يتلقون تراجم الاشخاص الذين عاصروهم فى القرنين السادس والسابع الهجرى فكانوا يلتقون بهم وينقلون طرائف اشعارهـم وموشحاتهـم وأزجالهم وكان على بن موسى المشهـور بابن سعيد له قصـب السبق فى هذا الميدان ، وهذان العنصران اعنى « المشاهدة » و « الرواية الشفويــة » يقدمان

للنص حيوية شديدة اذ نقرأ نصوصا لوصف البلدان الاندلسية « وكورها » المختلفة معتمدين فى ذلك على « العين » المجردة كما نقرأ اخبار الامراء ووزراء وعلماء وشعراء وكتاب شاهدهم رواة المغرب ورواهم راى العين وسمعوا منهم مسمع الاذن .

ثالثا : عنصر المصادر القديمة : وهى كثيرة جدا متعددة تعدد بلدان الاندلس وتونس والمغرب ومصر ، حتى الانسان اذا أحصى هذه المصادر يخيل اليه كأنه يتصفح مجموعة هائلة من مصنفات وبيبلوغرافيات دول « المغرب » كلها فى هذا العصر وما قبله وخاصة مصنفات القرن الرابع والخامس والسادس والسابع للهجرة واهم مصدر هو كتاب « المسهب فى غرائب المغرب » للحجارى فهو الاصل الاساسى لكتاب «المغرب في حلى المغرب» وأهم ميزة يمتاز بها مؤلفو « المغرب » الامانة العلمية فى الرجوع الى المصادر والمكتبات الخاصة والعامة التى قلبوها واطلعوا عليها على مرأى من العين وسمعوا منها مسمع الاذن .

ويلى المسهب من الجانب الجغرافى كتابات أحمد بن موسى الرازى (ت 344 هـ) ويلى كتاب فرحة الانفس لابن غالب وهو من ادباء القرن السادس الهجرى «وكتاب المسالك والممالك» لابن حوقل وكتابات ابن حيان (ت : 469 هـ) ويقع في عشرة مجلدات.والمتين ويقع في ستين مجلدا ثم تاريخ افريقيا والمغرب للرفيق القيروانى مؤرخ فى القرن الرابع الهجرى ورسالة نقط العروس فى تواريخ الخلفاء لابن حزم (ت : 456 هـ) وتاريخ « اغرناطة » للملاحى (ت : 619 هـ) الخ .. الخ ..

ولو احصيت هذه المصادر لبلغت بها عشر صفحات بعضها وصل الينا وبعضها الآخر أسقط من يد التاريخ وقد ذكر « على بن موسى » فى مؤلفاته التى رجع اليها قوله المشهور : « جنيت له بالموازنة ثمرات الكتب ومخضت فيه بالمطاولة زبد الحقب ، فلم تقصر يده على عصر من الاعصار ... فجاء كتابه راحة قد تعبت فيه الاسماع والابصار والايدى والافكار ... ولم يزل يقرن سواده وبياضه سواد الليل وبياض النهار » .

نقد كتاب المغرب فى حلى المغرب :

عندما اتم ابن سعيد تاليف كتاب « المغرب » جاء الى والده وقال يا ابتى ان بعض العلماء ينقدون طريقة تاليف كتاب « المغرب » فقال لهم : ان غاية العلماء دائما لا تدرك وان من عمل شيئا والف كتابا لا بد له من ان يتعرض الى النقد وقص عليه قصة الحمار والابن والوالد وهى قصة معروفة لجحا :

قال والد ابن سعيد لابنه يا بنى ان جحا لم يسلم هو الآخر من نقد الناس وحكى قصته المعروفة وهو ان جحا ذات مرة ركب حمارا وترك ابنه يسير راجلا فمر عليهما احد المارة وقال رجل متقدم في السن راكب والابن الصغير المسكين يسير على قدميه فنزل الاب وركب الابن فمر عليهما واحد ثان فقال رجل متقدم فى السن يسير على قدميه والابن على الحمار ومر عليهما رجل ثالث فقال حمار مسكين رجل وابنه على حمار واحد فلم لا يشفقان على الحيوان !؟ فنزل الاثنان وترجلا ، ومر عليهما رابع فقال ما أحمق الرجل وابنه حمار يسير بمفرده والرجل والابن يترجلان فلم لا يستغلانه لراحتهما ؟!

فقال والد ابن سعيد لابنه يا ولدى لا يمكن ان ترضى قلوب الناس كلها فكل واحد له وجهة نظر وكل واحد له افكاره وان رضى الناس غاية لا تدرك .

... هذا عن نقد الكتاب فى العصر القديم أما فى العصر الحديث فقد نقد الدكتور عبد العزيز الاهوانى كتاب المغرب ورد عليه الدكتور شوقى ضيف والعالم المغربى عبد الله كنون (5) الذى قال فى «المغرب» ابن سعيد يصح وضعه فى مقابلة المجموعة الكبيرة من الكتب المؤلفة فى هذا الصدد والتى تمثل الحدائق لابن فرج الجيلانى « والبديع » لابن الوليد حبيب . وقائد العقيان للفتح بن خاقان والذخيرة لابن بسام . وزاد المسافر لصفوان بن ادريس «وتحفة القادم » لابن الابار وغيرها لان هذه المؤلفات تتضمن العصور التى ألفت فيها على حين ان « المغرب » يتضمنها جميعا ويزيد عليها لمن روى عنهم وعاصرهم الى أواخر القرن السابع عشر الى وفاة على بن موسى آخر مؤلفى الكتاب » .

الخلاصــــة :

هكذا يبقى « كتاب المغرب فى حلى المغرب » من اعظم الموسوعات التاريخية والجغرافية والادبية وهو دائرة معارف كما ذكرت تدون للحياة العلمية والفكرية لبلدان « المغرب » وهى الاندلس والمغرب الاقصى وتونس فى القرن السابع الهجرى وما قبله وهو مصدر هام جدا من مصادر التاريخ التى جاءت بلون جديد لم يعهده المؤرخون الكلاسيكيون من قبل فما أشد الحاجة اليوم الى التعريف به والى اقتناء هذا الكتاب فى مكتباتنا الخاصة والعامة ! لان هذا الكتاب غير العديد من الاحداث التاريخية وحافظ عليها وصححها . فهو بحق يعد من نفائس المكتبة الاندلسية المغربية .

د. محسن العيــادى

---

(5) انظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق الاول من كانون الثانى 54 الجزء الاول المجلد 29 .

أصداء الفكر

● **مزالي يستقبل أعضاء المجلس القومي للنشر :**

ترأس السيد محمد مزالي الوزير الاول صباح يوم الاربعاء ١١ نوفمبر ١٩٨٠ بقصر الحكومة بالقصبة أول اجتماع للمجلس القومي للنشر بحضور السادة : فؤاد المبزع وزير الاعلام والشؤون الثقافية ومحمد فرج الشاذلي وزير التربية القومية والبشير بن سلامة المستشار لدى الوزير الاول والعروسي المطوى رئيس اتحاد الكتاب التونسيين .

وألقى السيد محمد مزالي بهذه المناسبة كلمة ضمنها ارتياحه لتمثيل كل الوزارات والمؤسسات العامة والخاصة التي تعنى بنشر الكتاب وطبعه وتوزيعه في هذا المجلس وابرز الظروف الملائمة التي ينعقد فيها اول اجتماع لهذا المجلس منذ صدور الامر القاضي بتأسيسه في أوت ١٩٧٩ ذلك ان الحكومة اعتزمت اتخاذ اجراءات جريئة قصد تنشيط نشر الكتاب التونسي وطبعه وتوزيعه اقتناعا منها بأن الكتاب ليس مادة كمالية بل بوصفه انتاجا صناعيا ذا مردود وجدوى اقتصادية بالاضافة الى كونه غذاء فكريا وثقافيا لا يمكن لاى شعب ان يستغنى عنه .

وذكر الوزير الاول في هذا الصدد بما ورد في الخطاب الذى ألقاه امام مجلس الامة عند عرضه لمشروعى الميزانية الاقتصادية وميزانية الدولة من تأكيد عزم الحكومة على القيام بكل الاجراءات التى من شأنها ان تعطى الكتاب دفعا جديدا الى الامام .

وأعرب في هذا الشأن عن اعتقاده بأن تونس بما لها من كتاب ومفكرين ومن مطابع ودور نشر وجهاز ثقافى رسمى قادرة على تحقيق قفزة كبيرة فى ميدان نشر الكتاب باعتبار توفر مقومات بشرية عربية وسياسية تبعث على الاقتناع بذلك ومن بين هذه المقومات تزايد جمهور القراء نتيجة نشر التعليم وانتشار المدارس والكليات ونشر الثقافة فى مختلف الاوساط بفضل دور وسائل الاعلام بقواعدها .

وأكد ان عدد القراء يمكن ان يتضاعف اذا ما احكمت عمليات الاشهار للتعريف بالكتاب التونسى .

وبين الوزير الاول ان التعريف بالكتاب التونسي بدأ في السنوات الاخيرة عندما شرعت وزارة التربية القومية في تونسة النصوص المدرسية وتعريف التلاميذ بنفائس الكتابات التونسية القديمة والحديثة نظرا لما لوحظ من خلو الكتب المدرسية من المؤلفات التونسية باستثناء بعض النصوص القليلة .

ومن جملة تلك الظروف ان الواقع العربي اصبح جد ملائم ذلك ان القراء العرب اكتشفوا الكتاب التونسي من حيث المحتوى ومن حيث الاخراج فأصبح الاقبال عليه كبيرا سواء في البلدان المغربية أو المشرقية على حد سواء .

ثم تحدث السيد محمد مزالي عن بعض العوامل التي تعوق نهضة الكتاب التونسي وعن ضرورة تلافيها وقال : ان اول هذه العوائق تتمثل في ارتفاع ثمن الكتاب وعدم احكام توزيعه داعيا الى الانكباب على درس هاتين الظاهرتين والبحث عن الحلول الملائمة التي تجعل الكتاب التونسي قادرا على المزاحمة فيقبل عليه القراء في تونس وفي البلاد العربية .

وأعرب الوزير الاول عن استعداد الحكومة لتقبل كل المقترحات والحلول التي تجعل صناعة الكتاب صناعة رابحة من الوجهة الاقتصادية .

ودعا الوزير الاول رجالات النشر خواصا كانوا أو تابعين لمؤسسات قومية ان يخططوا سياسة تمكنهم من تدعيم حضورهم في الاسواق العربية وفي غيرها وحتى لا ينتهي التعريف بالكتاب التونسي بانتهاء المعارض الخاصة التي تنظم له .

وأبرز المنافع الجمة التي يمكن لتونس ان تجنيها اقتصاديا وتجاريا باعتبار ان بيع ملايين من الكتب من شأنه ان ينشط الصادرات ويجلب العملة .

وأضاف الوزير الاول ان الحكومة ستسحب على صناعة الكتاب كل الاجراءات والتراتيب التشجيعية الممنوحة للمنتجين والمصدرين في مواد أخرى . كما انها ستعمل لجعل هذه الصناعة والمشاريع في هذا الميدان تحظى بالقروض البنكية .

وأشار في هذا السياق الى الاداءات القمرقية الموظفة على المواد التي تدخل في صناعة الكتاب مؤكدا انه ستتم مراجعة هذه الاداءات واعادة النظر فيها حتى يقع التخفيض من تكاليف الكتاب التونسي ويكون في متناول القراء اقتناعا من ان الكتاب غذاء روحي ضروري للجماهير ولا يمكن ان يحرم منه الشباب او ان يقتصر على الكتب المستوردة .

وتعرض الوزير الاول الى الحلول التي يمكن ايجادها للتخفيض من تكاليف الكتاب من ادراج مادة الورق ضمن المواد المتمتعة بتدخل صندوق التعويض وسحب الاجراءات المتخذة لفائدة الاشهار لعديد المواد على الكتاب والسعي الى جعل الاوساط المعنية تتحمل جانبا من تكاليف الاشهار.

وقال السيد محمد مزالي ان هذه الاجراءات الجريئة التي يمكن للحكومة ان تقدم عليها بمنطق اقتصادي ومالي مجدية في حد ذاتها اما اذا اضيف اليهـا البعد الثقافي والفكري الذي نؤمن به والذي لا يزال الرئيس الحبيب بورقيبة يؤكد عليه تكون تلك الجدوى مضاعفة ذلك ان الكتاب يساهم في دعم اشعاع تونس في العالم.

وأوضح الوزير الاول في ختام كلمته ان العناية بصناعة الكتاب نشرا وطباعة وتوزيعا انطلاقا من هذه المعطيات اصبحت واجبا أكيدا ومقدسا لا بد من ان نضطلع به جميعا حتى يواكب الكتاب وبالتالي الثقافة النهضة الشـاملة التي تشهدها تونس بقيادة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة في كل الميادين.

وألقى السيد فؤاد المبزع من جهته كلمة شكر فيها السيد محمد مزالي على تفضله بالاشراف على أول اجتماع للمجلس موضحا ان المجلس القومي للنشر سينظر في كل ما يتعلق بصناعة الكتاب وبنهضتها. وابرز الاشواط التي تم قطعها في هذا المجال بما اتخذ من اجراءات لتشجيع النشر والتأليف ولاحظ في الختام ان المجلس سيدرس الاقتراحات الكفيلة بالنهوض بالكتاب وبنشره قصد عرضها على الحكومة وانه سيدخل بعض الاجراءات العملية التي تم الاتفاق عليها حيز التنفيذ ابتداء من السنة المقبلة.

● **المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة:**

« انها محاولة طريفة يهدف من ورائها صاحبها الى استجلاء صـلات اللغـة العربية وثقافتها باللغات والثقافات الأخرى » هذا ما جـاء في المقدمـة الـتي وضعها الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي لهذا الكتاب الـذي يحمل عنــوان: « المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة » من تأليف الاستاذ ابراهيم بن مراد ونشر الدار العربية للكتاب.

نشكر المؤلف على النسخة التي وصلتنا هدية منه ونرجو له مزيدا من هذا العطاء العلمي الجاد.

● **طبيب تونسي في الجزائر:**

تحت هذا العنوان كتب الصديق صالح الحاجه في جريـدة الصبـاح يـوم الاربعاء 10 سبتمبر 1980 في ركن « بطاقة » كلمة علق فيها على زيارة الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول والامين العام للحزب الى الجزائر الشقيقة.

ونحن إذ ننشر مضمون تلك « البطاقة » فذلك لما فيها من مغزى عميق لأولي الألباب :

الجزائر قريبة جدا من القلب لا لانها قريبة من العين فقط ،، ولكن لانها جزء من القلب الكبير النابض ،، والانسان مهما عظم أو كبر لا يستطيع أن يفرط ولو فى أصغر اجزاء قلبه ،، انـه لا يملـك الا ان يحـافظ على كل الاجـزاء صغيرها ، وكبيرها على حد سـواء ،،، لان فى المحـافظة عليهـا محـافظة على حياته ،، والعلم يقول ان عجز صمام واحد من صمامات القلب عن أداء وظيفته يمكن أن يؤدى الى الوفاة ،،

ان كل اجزاء القلب متساوية مهما اختلفت من حيث وظائفها والانسان لا يمكن ان يستمر فى الحياة الا اذا كانت جميع اجزاء قلبه سليمة ،،

ولان الجزائر هى جزء من تلك الاجزاء فان القلب العربى لا يمكن لحيـاته ان تستمر الا اذا ظل ذلك الجزء يعمل بانتظام ويؤدى وظيفته على افضل صورة مع بقية الاجزاء .

والعلم يقف عاجزا امام الحالة الفريدة للقلب العربى ،، انه لا يفهـم كيف يمكن لقلب ان يحيا ويستمر مع ان جميع اجزائه تتصارع ،، وتتخاصم !،،

ان الحالة الطبيعية لكل قلب بشرى هى ان تكون مجموع الاجزاء فيه وحدة متكاملة لا انفصال بينها ،، ولذلك فان حالة القلب العربى على ما هى عليه منذ سنوات طوال تعتبر شاذة وغريبة ،، وعليه فان كل محـاولة لتطبيب القلب العربى تطبيبا يجمع بين المعـرفة والصـدق ،، بين العلـم والحـب ينبغى ان تستقبل لا بالترحيب فقط ،، بل وبالدعم والتشجيع ،

ان هذا الطبيب الذى يحاول ان يجمع بين بعض الاجزاء المتناحرة فى القلب العربى لا يستحق ان نمنحه حبنا فقط ،، بل يستحق ان نساعـده بكـل ما يحتاج اليه فى عمله ،، فاذا احتاج الى الصمت صمتنا ،، واذا احتاج الى الحب منحاه ،، كل ما يطلب ينبغى ان نوفره له لانه طبيب ماهر ،، ولانـه انسـان يؤمن كأشد ما يكون الايمان بأن الامم لا تنهض الا اذا ءامنت بذاتها وعادت الى أصولها الاولى فتأخذ بها وتنطلق منها نحو غد مشرق .

ان طبيبنا لا يؤمن بالعلم فقط ،، ولذلك فهو لا يتعامل مع القلب العـربى المفكك الاجزاء مثلما يتعامل المحاسب مع حاسبة ألكترونية ،، أو مثلما يتعامل

الجزار مع الشاة ،، انه يجمع بين العلم والايمان ،، العلم الحديث ،، والايمان المطلق بكل ما هو نبيل وأصيل وجميل ،، ولذلك فهو يتعامل مع ذلك القلب بعقل وأصابع العالم وبضمير ووجدان المتصوف .

● **مجلة « الفكر » في مجلة الاذاعة والتلفزة :**

نشرت مجلة الاذاعة والتلفزة التونسية فى العدد 474 من سنتها 21 الصادر فى 16 اكتوبر 1980 وفى ركن « ثقافة » وتحت عنوان : « **ربع قرن من الأمانة والمسؤولية وأريحية التحدى والاصرار والاستمرار** » تغطيـة صحفيـة بقلم : عبد الرؤوف الخنيسي توزعت تحت عناوين ثانوية عديـدة منهـا : « اثبـات للذات ، عيد ثقافى ، اثراء الفكر القومى والعربى ، مرآة الفكـر العربى ، فى مواجهة عصرها ، نفحات شعرية ، وتحت هذه العناوين الفرعية أورد الصديق عبد الرؤوف الخنيسى مقتطفات من الكلمات التى ألقيت خلال مهرجان الفكـر فى عيد ميلادها الخامس والعشرين ومع هذا نجد جـزءا أخيرا تحت عنوان : « شىء من التاريخ » جاء فيه بالخصوب تحت عنوان فرعى : « **معطف مـزالى وبن سلامة** » **ما يلى** :

ويرى الزميل صالح الجابرى فى كتابه الشعر التونسى المعـاصر من 1890 الى 1970 أن أثر « الفكر » على الحركة الادبية المعاصرة فى تونس لا يدانية أثر فهى أشبه بمعطف (غوغول) الذى يقول الكتاب الروس : ان كل قصاصيهم خرجوا منه .

ويبدو لى بكل موضـوعية تحليليـة صـادقة ان جـل جيـل الستينـات والسبعينات الادبى والشعرى قد خرج من تحت مظلة « الفكر » ذلك أن الفكر هى الميناء الوحيد الذى تقبل نزوات وتمرد وشطحات وهموم الاجيال الادبية والشعرية التى أوصـدت فى وجهها أبـواب الصحـافة اليـومية والمجـلات الهامشية التى تحيا وتموت بين عشية وضحاها .

وتحت العنوان الثانوى هذا : « ***إصرار على الدوام*** » *لخص الكاتب أهـداف* الفكر عبر مسيرتها الثقافية والادبية فى خمس نقاط :

1) الوفاء للروح الحضارية والتاريخية والفكرية التونسية .

2) مد الجسور واللقاح بين ثقافتنا القومية والابداع العربى فى كل مجالاته وفنـونه .

3) معالجة أمهات القضايا والمشاغل الفكرية العربية والانسانية فى اطار الموضوعية والصدق .

4) اخضاع الادب والفكر لما ينفع الناس .. أى لما يفيد الناشئة الادبية ويلهم جماهيرنا الشعبية ويدفع بسواكنها الى الحركة فالفعل .

5) تدمير حائط المبكى القائم بين ثقافتى المغاربة والمشارقة .

● **صيانة القيروان :**

وقعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يوم 1980/7/23 مع الجمهورية التونسية اتفاقية صيانة مدينة القيروان . وهى فاتحة برنامج المنظمة فى صيانة المدن العربية الاسلامية التى تمثل بناء فنيا وثقافيا واجتماعيا متكاملا لحضارة أمتنا على مدى الزمن الطويل ، يعبر عن قدراتها وعبقرياتها فى تصور الحياة وتشكيلها وتناولها . كما أكد ذلك المدير العام للمنظمة فى كلمته التى القاها فى حفل توقيع الاتفاقية التى امضاها من الجانب التونسى الاستاذ فؤاد المبزع وزير الاعلام والشؤون الثقافية بتونس .

● **قضايا الشعر العربى المعاصر :**

عقدت اللجنة التحضيرية لندوة الشعر العربى المعاصر أيام 25 و 26 و 27 أوت 1980 بمقر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جلسات عمل تحضيرية لندوة حول « قضايا الشعر العربى المعاصر » ستنظمها ادارة الثقافة .

وقد وجهت الدعوة لحضور أعمال اللجنة التحضيرية الى كل من الدكتور احسان عباس الاستاذ بالجامعة الامركية ، والاستاذ شفيق الكمالى الامين العام لاتحاد الكتاب والادباء العرب ، والشاعر (العراقى) عبد الوهاب البياتى ، والشاعر (الفلسطينى) محمود درويش ، والشاعر (التونسى) أحمد اللغمانى . وقد أشرف المدير العام للمنظمة يوم 26 أوت 1980 على سير أعمال اللجنة وشارك فى مناقشاتها .

● **المهدية وشاعرها تميم :**

وهذا كتاب آخر للاستاذ محمد المرزوقى وهو الحلقة الثالثة من سلسلة المخطوطات الأثرية والتاريخية والادبية التى يصدرها المعهد القومى للآثار والفنون قسم « المكتبة التاريخية » .

وقد رتب أديبنا المرزوقى الكتاب حسب ثمانى فصول تليها الملحقات ونماذج من شعر أحفاد تميم ابن المعز الصنهاجي وما قيل فيه من

قصائد أما مجموعة شعر تميم فقد خصص لها الفصل الثامن من الكتاب مرتبة حسب قوافيها وهي لا تعدو 19 ورقة أغلبها أنصاف صفحات اذا استثنينا القسم الخاص بالهوامش والتعاليق ومن هنا تكون قيمة الكتاب التاريخية التراثية غالبة على القيمة الادبية التي ما كانت لتثبت هنا لو استطاعت أن تقوم بذاتها وليس في ذلك أي مانع حيث تكون الناحية التاريخية مكملة لنقص الناحية الادبية .

نرجو للاديب محمد المرزوقي تواصل هذا الجهد المبارك في جمع وتقييم ومراجعة واعداد مخطوطاتنا التونسية للنشر وفي ذلك خدمة لتراثنا وتاريخنا.

● **زهير بن أبي سلمى :**

هذه فصلة من مجلة « المجتمع العلمي العراقي » الجزء الثاني من المجلد الحادي والثلاثين بقلم الدكتور : محمود عبد الله الجادر . طبع دار الكتب .

وهذه الفصلة عبارة عن دراسة وتحقيق وملاحظات حول ديوان زهير بن أبي سلمى . نشكر المؤلف على النسخة التي وصلتنا منه ونرجو له مزيد العطاء والبحث خدمة للأدب العربي قديمه وحديثه .

● **نافذة على شعر وشعراء المناجم :**

صدر العدد العاشر من مجلة « الأخلاء » س 2 محتويا على دراسة تحليلية طويلة تفتح نافذة على شعر وشعراء المناجم ، وقد جاء في كلمة « الأخلاء » بقلم مؤسسها الصادق شرف ما يلي :

« بهذا العدد العاشر تختم مجلة « الأخلاء » سنتها الثانية وهي عزم كلها على مواصلة طريق نكران الذات ، والعمل على الأخذ بيد الناشئة الأدبية وحتى غير الناشئة مما جعلها لحد الآن تنشر خمسة آثار أدبية ما كانت لترى النور لولا تعاون « الأخلاء » مع هؤلاء الادباء الشبان وهم :

يوسف رزوقه ومجموعته الشعرية : « **امتاز عليك بأحزاني** » ، ومحمد الدرويش ومجموعته القصصية : « **شبحها ولعنة الرب** » ، ومحمد علي الهاني ومجموعته الشعرية : « **الجرح المسافر** » ، وحميده الصولي ومجموعته الشعرية : « **الحريق .. حتى الاخضرار** » . وهذا أخيرا العدد العاشر الخاص بالشعر المنجمي بقلم محمد العايش القوتي » .

وأملنا أن تواصل هذه المجلة تجربتها الفريدية من نوعها بتونس في اصدار الاعداد الخاصة بالادب الطليعي مشاركة منها في نشر مخطوطاتنا الأدبية .

● **جائزة بلدية تونس لسنة 1979 :**

فى أواخر شهر أوت 1980 وقع الاعلان ــ بعد طول انتظار ــ عن جائزة بلدية تونس لسنة 1979 التى ترشح لها عدد من الأدباء المنتجين ولم يفز منهم الا القصاص : الناصر التومى لروايته : « ليالى القمر والرماد » التى تحتوى على 110 صفحة من القطع الوزيرى المرقونة .

والملاحظ أن الجائزة كانت رمزية لا تتجاوز قيمتها 300 دينار وقد علقت عليها جريدة الصباح فى عددها الصادر بتاريخ 1980/10/21 بقلم صالح الحاجه تحت عنوان « جائزة كأنها راتب شهرى » هذا مع أن هذه الفرصة يمكن أن تكون مناسبة حية لتظاهرة ثقافية الا انها مرت فى صمت ، وكأن شيئا لم يكن .

● **الكتاب التونسى فى معرض الكتاب العربى بالكويت :**

نظمت الكويت أخيرا معرضا للكتاب العربى كان الكتاب التونسى من بين كتب الدور العربية للنشر .

وقد أقامت الدار التونسية للنشر للكتاب التونسى جانبا خاصا فى هذا المعرض يحتوى على عدد هام من الكتب الادبية والعلمية وقصص الاطفال .

● **مهرجان أيام قرطاج السنمائية :**

يوم السبت 15 / 11 / 1980 تم افتتاح مهرجان « **أيام قرطاج السنمائية** » من طرف وزير الاعلام والشؤون الثقافية فى دورته الثامنة وهو بحق ــ رغم الصعوبات ــ وجه من أوجه الاستمرار والتواصل ليحقق الحلم ويظل المرجع الدائم لتقييم الانتاج السنمائى العربى والافريقى .

وهذا العمل السنمائى فى المنظار الحضارى يحتل مساحة هامة للاضاءة والتوجه الهادف نحو جماهير العالم النامى ، وتلعب السنما دورا قد يخطر وقد يتقزم هذا بحسب المنطلقات والاهداف التى تصدر عنها وتتوجه لها . وما أحوجنا اليوم الى سنماء قوية تستطيع أن تلعب دورها العالمى فى كشف الحقائق وخدمة الطموحات الانسانية وفضح الممارسات الصهيونية والجرائم المقترفة فى حق شعوب بأسرها والمنتهكة لحرمة الانسانية بشتى الاشكال وبجميع الطرق .

أما آن للمخرجين اليوم أن يضعوا حدا لأفلام المتاجرة بالرخيص من النزوات والاباحية والرقص المتعرى واثارة المراهقة والأفلام التجارية بصفة عامة

ليوظفوا السنما في خدمة أهداف وقضايا الوطن العربي والاسلامي والانسانية من أجل غدها الأفضل !؟

● رب أنعمت فزد :

تحت هذا العنوان وصلتنا رسالة من الصديق : مصباح بوحبيل من مدنين يخاطب فيها مدير مجلة الفكر الاستاذ محمد مزالي مهنئا بقوله :

يسعدني ويشرفني أن أتقدم لشخصكم الموقر بأزكى عبارات المحبة والتقدير لما تقومون به لفائدة الانسان التونسي في شتى الميادين،واسمحوا لي أن أتقدم لكم بتهاني شاب مخلص يتتبع بفخر مسيرتكم الموفقة بمناسبة مهامكم الجديدة والتي جمعتم بها المجد من طرفيه دون ضجيج . فدمتم لنا وللفكر رائدا في هذه الربوع ، والسياسي المحنك في حياتنا العامة ودام لكم التوفيق في أعمالكم .

نشكر الأخ مصباح على عواطفه النبيلة ونرجو أن يوفقنا الله جميعا لما فيه خير هذا الوطن العزيز وتقدم الانسان التونسي الطموح .

● أصوات شعرية معاصرة :

هذه نشرية ترقن حينا وتكتب احيانا بخط اليد تصدرها دار آتون بديرب نجم ـ الشرقية ـ مصر . وقد أهدانا مشكورا الصديق حسين على محمد العدد الأول والثاني من هذه النشرية التي أخذت بيد الشعراء ونشرت انتاجهم في مجموعات خاصة كمجموعة الشاعر عبد الله شرف ـ التي أهدانا الشاعر مشكورا منها نسخة ـ ومجموعات مشتركة كالمجموعة الأولى التي شارك فيا كل من الشاعر محمد مهران والشاعر محمد سعد بيومي والشاعر أحمد سويلم والشاعر حسين علي محمد والشاعر عبد الله شرف والشاعر محمد علي الرباوي .

نرجو لهذا العمل الأدبي التواصل والتطور في الشكل والمضمون .

● جزيرة الأحلام وقصص أخرى :

من منشورات مطبعة الجنوب ـ مدنين ـ صدر أخيرا كتاب يحمل عنوان « جزيرة الأحلام » تأليف : علي العزلوك . وقد أهدانا المؤلف نسخة من كتابه عربون ولاء واعجاب ومحبة كما جاء في اهدائه .

نشكره ونرجو له مزيدا من الانتاج القصصي ولكتابه الرواج .

● الشيعة في ايران :

هذا عنوان كتاب اصدره الدكتور : علي الشابي في أفريل 1980 وطبع في

المطبعة الرسمية بالجمهورية التونسية . وقد أهدنا المؤلف مشكورا ، نسخة من كتابه هذا المحتوى على أربعة فصول تضم عناوين عديدة مع ملحق خاص بالنصوص التى تتعلق بالفرس والتشيع والى جانب ذلك نجد فهرس الاعلام وفهرس الجماعات وفهرس الاماكن والبلدان وفهرس الكتب وفهرس الموضوعات فهو كتاب ثمين بحق لمن أراد الاطلاع على المذهب الشيعي فى ايران وتاريخه .

نشكر المؤلف على هديته ونرجو له اطراد الانتاج .

● **سياسة حمودة باشا فى تونس من 1782 الى 1814 م :**

هذا عنوان كتاب ضخم من تأليف الدكتور رشاد الامام الأستاذ المحاضر بكلية الآداب والعلوم الانسانية ، وهو من منشورات الجامعة التونسية سنة 1980 . ويحتوى على 494 ص . من القطع لكبير .

وقد اهدانا المؤلف نسخة من كتابه الهام نشكره ونرجو لجهوده التوفيق .

● **الجد الأكبر منصور والمغامرة الابداعية :**

هذا عنوان الكتاب السابع من سلسلة الكتب التى تصدرها دار آتون القاهرة . من تأليف : محمد الراوى وهو عبارة عن انتاج قصصى يستلهم التراث الاسلامى ويحتوى على تسع وصايا فى 76 ص كما وصلنا كتاب « **المغامرة الابداعية** » وهو عبارة عن دراسة نقدية لأدب ضياء الشرقاوى لنفس المؤلف الذى أهدانا نسخة من كل من الكتابين نشكره ونرجو له مزيدا من هذا العمل الأدبى الجاد .

● **دراسات مغربية :**

من منشورات دار الطليعة ـ بيروت ـ وصلتنا نسخة من كتاب « دراسات مغربية فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى عن المغرب الاسلامى » هدية من المؤلف الدكتور الحبيب الجنحانى نشكره ونرجو لكتابه الرواج .

● **عن الحركة النقابية التونسية :**

أهدانا الأستاذ أبو بكر لطيف عزيز نسخة من الجزء الأول من كتابه عن الحركة الثقافية التونسية 1900 ـ 1970 الذى تم طبعه باللغة الفرنسية فى مطبعة « تونس قرطاج » ويحتوى الكتاب على 428 ص. من القطع الكبير نشكر الصديق أبو بكر عزيز على هديته ونرجو له مزيد التوفيق .

● **الروض النضير فى اعلام المنستير :**

هذا عنوان الحلقة الأولى من « سلسلة أعلام الفكر » من تأليف الاستاذ عبد الله الزناد ما يزال مخطوطا وقد جاء فى رسالته المصاحبة لهذا المخطوط الهام حول « تاريخ المنستير وأعلامها » قوله شعرا مخاطبا الاستاذ محمد مزالى مدير مجلة « الفكر » :

حقق القصد للبلاد الفتيه · يا منار النبوغ والعبقريه
أنت للشعب فى سمائه بدر · أنت سور للأمة التونسيه
لك بين الورى مقام الصداره · يا رفيع الذرى ، يا ولى الوزاره
عشت للقائد العظيم معينا · عشت للشعب كى تصون دياره

نشكر المؤلف ونرجو لمخطوطه أن يرى النور قريبا .

● **شجرة الحلم :**

هذا عنوان مجموعة شعرية من سلسلة « كتاب المواهب » للشاعر حسين على محمد . تضم 11 قصيدة مع مقدمة للمجموعة طويلة احتلت ثلث المجموعة بقلم الدكتور على عشرى زايد . نشكر الشاعر على النسخة التى أهداها إيانا ونرجو لمجموعته الرواج .

● **أولاد الحفيانة :**

وصلتنا من الدار التونسية للنشر هدية لمجلة الفكر تتمثل فى مجموعة قصصية تحمل عنوان « اولاد الحفيانة » للقصاص المعروف : عبد القادر الحاج نصر . وتضم المجموعة القصصية سبعة عناوين هى : غرة الشهر ، الطيور الحزينة ، العطش أمام طيبة ، الشجرتان ، أولاد الحفيانة ، السفر ، فرق الهتاف .

وقد انتهى طبع هذه المجموعة القصصية بمطبعة الدار التونسية للنشر وذلك فى جمادى الثانية : 1400 هـ الموافق لشهر ماى 1980 م .

● **من أخلاق العرب : الوفاء :**

« الوفاء » مسرحية ذات ثلاثة فصول للأطفال من تأليف الأديب الصديق مصطفى عزوز . تم طبعها فى اكتوبر 1980 بالمطبعة القومية للنشر ـ تونس . وهى صادرة عن الدار التونسية للنشر التى أهدت الى مجلة الفكر نسخة من هذه المسرحية . نشكر الدار ونرجو للمؤلف مزيدا من تاكيد الحضور على ساحة « أدب الطفولة » .

● **الرصاصة ، المدفـاة :**

عنوانان لمجموعتين قصصيتين جميلتين من تأليـف الأستـاذ محمود عـلى السعيد ونشر النادى العربى الفلسطينى ـ اللجنة الثقافية .

الطريف حقا فى هذين المجموعتين اللتين لا تتجاوز فيهما كل قصة حدود الصفحة الواحدة ، والأطراف من ذلك أن لغة الكتابة وتراكيبها من نوع « قصيدة النثر » ومع ذلك لم يدع صاحبهما أنـه كتب شعـرا كمـا يفعـل بعضهم من أصحاب التناثرية ، ويجدر بنا أن نقدم للقارىء نموذجـا من هـذه القصص القصيرة جدا وهى قصص وليست قصائد كما أقر بذلك صاحبها :

أعشق جرحا أحمر اسمه الوردة .

تفاحة نهدية الشكل واللون اسمها : الشمس .

شريحة من التراب الهش والحجارة تشبه الخنجر اسمها : فلسطين .

مستطيلا صغيرا فى ورقة ملساء أنيقة ... اسمها : بطاقة مقاتل شخصية .

رشقة من كلمات شاعرة صغيرة تشعل القلب بحرارتها ...

كما تشعل الفراشة بألوانها القزحية جسد البساتين .

فما أروع هذا (الشعر) ولكن صاحبه محمود على السعيد لا يدعى أنه يكتب شعرا . بل يظل وفيا للنثر . وللنثر جمـاله أيضا ، فليبـارك له الله هذه الخطى الابداعية .

● **أبو القاسم الشابى : حياته وشعره :**

هذه دراسة بقلم الاستاذ زين العابدين السنوسى ، مراجعة وتعليق الأستاذ أحمد الطويلى وهى العدد الأول من سلسلة « دراسات ونصوص » تصدرها الدار التونسيـة للنشـر .

● **عشر معلقات وموثبة فى الجاهلية الأخيرة :**

« الأستاذ الكبير محمد مزالى الذى أثبت بسيرته وعلمه أن المجد للكلمة ، مع أحب الذكرى وأسمى التقدير » بهذه الكلمات أهدانا الدكتـور : احمـد سليمان الأحمد مجموعته الشعرية ذات العنوان المتميز جدا والتى تحتوى على II قصيدا أول قصيدة منها تحمل عنوان : « التونسية » وقد جاء فيها قوله :

وهب الخلـود الحـب والشعـراءا يتبـاريـان على الـزمـان عطـاءا

يتنـادمـان عـلى بسـاط أميـرة نميت ، فكانت تـونس الخضـراءا

هذا وقد وصلنا منه أيضا كتاب بعنوان «**اغنية تقاوم اثنى عشر غرابا**» وهو عبارة عن مسرحية تاريخية فى ست عشرة لوحة تعرض بدرا وأحدا والخندق وهى صادرة عن « مؤسسة الرسالة » بيروت .

وبجانب ذلك وصلتنا أيضا مجموعته الشعرية التى تحمل عنوان : « **للكلمات جهات تقصدها عمدا** » وهى باللغة العربية اما المجموعة الشعرية الثالثة فهى مترجمة الى اللغة الفرنسية وتحمل عنوان : « **نوافذ البروج المضاءة** » .

نشكر الشاعر أحمد سليمان الأحمد على هديته ونرجو له تواصل العطاء الأدبى .

● **دكتوراه بملاحظة : « مشرف جدا » :**

بلغنا أن الزميل محمود طرشونة الأستاذ بكلية الآداب بتونس ناقش مؤخرا بباريس أطروحة دكتوراه دولة فى الأدب المقارن حول موضوع أهل الكدية فى القصص العربى والقصص الاسبانى وذلك بملاحظة « مشرف جدا » . وقد أشرف على اعداد هذا البحث الأستاذ أندرى ميكال وشارك معه فى لجنة المناقشة الأساتذة محمد عبد السلام ومحمد أركون وندى طوميش وإدمون كروس المتخصص فى الدراسات الاسبانية .

وقد تناول البحث أوجه الشبه فى المضامين وأوجه الاختلاف فى الأشكال بين المقامات العربية وألف ليلة وليلة من جهة وقصص المكدين الاسبانية من جهة ثانية . وفسر الباحث الفوارق الشكلية بين الأدبين بتأصل كل منهما فى تراثه الثقافى الخاص كما فسر التماثل المضمونى بتماثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى كل من العراق فى القرن الرابع الهجرى (العاشر مسيحى) واسبانيا فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر مسيحى) . فكان المكدى فى كل من الادبين وليدا لتلك الظروف المتماثلة حسب ما أظهره منهج النقد الاجتماعى المقارن .

نرجو ان تطبع معربة هذه الاطروحة الجديدة قريبا .

والملاحظ أن الدكتور محمود طرشونة قد ظهرت له فى السنوات الفارطة ثلاث كتب : الأول بعنوان « نوافذ » (1977) وهى مجموعة قصصية كان نشر جلها فى مجلة « الفكر » والثانى بعنوان الأدب المريد فى مؤلفات المسعدى (الطبعة الاولى 1978 ، الطبعة الثانية 1980) والثالث بعنوان « مائة ليلة وليلة » (الدار العربية للكتاب 1979) .